الجامعة الأمريكية المفتوحة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية

دراسات في الأخلاق

دكتور

جمال السيد محمد

أستاذ مقارنة الأديان والمذاهب

جامعة الأزهر

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شـــريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلي على سيدنا محمد النبي الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، ليتمم مكارم الأخلاق، وليكون لهم الأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة، كما قال رب العرش العظيم: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[1].

وصلي اللهم على آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الذين آمنوا به، وساروا على هديه حتى أصبحوا مثلاً للبشر يحتذى بهم في فضائل الأخلاق.

وبعد:

فقد جاء تناولي لهذا البحث من خلال عدد من النقاط على النحو التالي:

أولاً: مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً.

أ- مفهوم الأخلاق في اللغة.

ب- مفهوم الأخلاق في الاصطلاح.

ج- السمات العامة التي تحدد مفهوم دائرة الأخلاق.

---

(١) سورة القلم: ٤.

د- مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم.

هـ- مفهوم الأخلاق في السنة النبوية المطهرة.

و- العلاقة بين العقيدة والأخلاق.

ز- العلاقة بين الشريعة والأخلاق.

ح- العلاقة بين السلوك والأخلاق.

ط- أقسام الأخلاق.

ك- اشتمال القرآن الكريم على الجانب النظري والعملي للأخلاق.

ثانياً: موضوع علم الأخلاق.

ثالثًا: فائدة علم الأخلاق.

رابعاً: علم الأخلاق وصلته ببعض العلوم الإنسانية.

أ- العلاقة بين علم الأخلاق وعلم النفس.

ب- العلاقة بين علم الأخلاق والفلسفة.

ج- العلاقة بين علم الأخلاق وعلم الاجتماع.

د- العلاقة بين علم الأخلاق وعلم المنطق.

هـ- العلاقة بين علم الأخلاق والدين.

خامساً: الجانب الأخلاقي في المذاهب والديانات القديمة

أ- ديانة المصريين القدماء.

ب- البرهمية.

ج- البوذية.

د- الزرادشتية.

هـ- المانوية.

و- المزدكية.

ز- الكونفشوسية.

سادساً: اليهودية.

سابعًا: النصرانية.

ثامنًا: الإسلام.

تاسعاً: خصائص النظرية الخلقية:

أ- ارتباط الأخلاق بالعقيدة الإسلامية.

ب- أصالة الأخلاق الإسلامية.

ج- شمول الأخلاق الإسلامية.

د- مواءمة الأخلاق الإسلامية بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع.

هـ- جمع الأخلاق الإسلامية بين المثالية والواقعية.

و- كمال الأخلاق الإسلامية لأن مصدرها الوحي.

ز- اهتمام الأخلاق الإسلامية بالنية.

ح- التزام الأخلاق بالنظرية الشمولية المستوعبة.

ط- صلاح الأخلاق الإسلامية لكل زمان ومكان.

ي- دقة الأخلاق الإسلامية وسعة الأفق في مجال الغاية التي تقصدها.

أولاً: مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً:

إن تحديد المفاهيم جانب أساسي من جوانب البحث العلمي في أي موضوع ما، فعلى ضوئه تتسم القضايا بالموضوعية، والتحديد لمضمونها وبدون تحديد المفاهيم يتنازع الباحثون قضايا قد تبدوا واحدة بينما هم على طرفي نقيض لا لشيء إلا لعدم تحديد المفاهيم بينهم.

لذلك كان تحديد مفهوم الأخلاق يلزم الرجوع أولاً إلى معاجم اللغة العربية، للوقوف على معنى كلمة الأخلاق بما دونه اللغويون من معان لمادة خلق، ثم إلى الباحثين في الأخلاق للوقوف على ما دونوه من تعريفات وتحديدات لها، وهو ما يعرف بالتعريف الاصطلاحي.

(أ) مفهوم الأخلاق في اللغة:

قال ابن منظور في اللسان: الخلق – الخليقة، أعنى الطبيعة وفي التنـــزيل {**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**}[1] والجمع أخلاق.

والخُلق والخَلق: بضم اللام وسكونها: هو الدين، والطبع والسجية وحقيقته أنه وصف لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها ومنـــزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، لهما أوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة

(١) سورة القلم: ٤.

الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة [1] ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"[2].

والخُلُق: بضم الخاء واللام: المروءة: يقال فلان مخلقة للخير، ويقال فلان خليق بكذا، أي جدير به [3].

والخَلْق بفتح الخاء وسكون اللام: الكذب، وخلق الكذب والإفك يخلقه وتخلقه واختلقه وافتراه، ومنه قاله تعالى: {وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً}[4] وقوله تعالى: {إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ}[5] أي تحرص.

والخَلْق كذلك بفتح الخاء وسكون اللام: التقدير "وخلق الأديم يخلقه خلقاً أي قدره لما يريده قبل القطع، وقاسه ليقطع منه قربة أو خفاً.

قال زهير يمدح رجلاً:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

(١) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن أحمد بن أبي القاسم بن منظور، لسان العرب، الناشر دار المعارف القاهرة، بدون رقم للطبعة وبدون تاريخ، ج ٤ مادة خلق ص ١٢٤٥.

(٢) تحف الأحوذي، بشرح جامع الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، (٤/ ٣٢٥).

(٣) راجع: ابن منظور، لسان العرب ص ١٢٤٧.

(٤) سورة العنكبوت: ١٧.

(٥) سورة ص: ٧.

يقول أنت إذا قدرت أمراً قطعته وأمضيته وغيرك يقدر مما لا يقطعه لأنه ليس بماضي العزم وأنت مضاء لما عزمت عليه.

والخَلُوق والخلاق: ضرب من الطيب، وقد تَخَلَّقَ وخَلَّقْتُه: طيبته بالخَلُوق، والخَلُوق طيب معروف يتخذ من الزعفران.

والخَلاقُ: الحظ والنصيب من الخير والفلاح، وقال المفسرون في قوله تعالى : {وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ}[1]، أي ما له نصيب من الخير.

ويقال أخلق الرجل، إذا صار دا أخلاق، ويقال أيضاً خلق الثوب خلوقاً.

قال ابن هرمة:

عجبت أثيلة أن رأتني مخلقاً ثكلتك أمك أي ذاك يروع

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خلق وجيب قميصه مرقوع[2]

وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء، فأما الأول فقولهم: خلقت الأديم للسقاء إذا قدرته.

ومن ذلك الخلق وهو السجية؛ لأن صاحبه قد قدر عليه.

(١) سورة البقرة: ٢٠٠.

(٢) راجع: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤ مادة خلق ص ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨.

وأما الثاني: فضجرة خلقاء، أي ملساء، وقال الشاعر:

قد يترك الدهر في خلقاء راسية

وهيا وينـــزل منها الأعصم الصدعا[1].

وقال الزمخشري في أساس البلاغة: وله خُلُقٌ حسن، وخَلِيْقَة هي ما خلق عليه من طبيعته [2].

وفي القاموس المحيط للفيروزأبادي: الخلق بالضم السجية، والطبع، والمروءة، والدين [3].

وفي الصحاح الجوهري: الخَلِيْقَة، الطبيعة، والجمع الخَلائِقُ.

والخلق، والخلق: بضم اللام سكونها: السجية، يقال خالق المؤمن وخالق الكافر [4].

وفلان يتخلق بغير خلقه، أي يتكلفه، وقال سالم بن وابصة: إن

(١) أبي الحسين بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة الحلبي ط ٣، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج ٢ مادة خلق، ص ٢١٣، ٢١٤.

(٢) جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر بيروت بدون رقم للطبعة، سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، مادة خلق، ص ١٧٣.

(٣) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، القاموس المحيط، مطبعة الحلبي القاهرة، ط ٢، سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، ج ٣، مادة خلق، ص ٢٣٦.

(٤) الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مطبعة الحلبي القاهرة، بدون رقم للمطبعة، وبدون تاريخ مادة خلق، ص ٣٤٤.

التخلق يأتي دونه الخلق [1].

ويقتضينا البحث في بيان المقام اللغوي أن نقف على العلاقة بين الخلق بفتح الخاء وسكون اللام ، والخُلُق، بضم الخاء واللام.

فالمراد بالخَلْق بفتح الخاء وسكون اللام، "الصورة الظاهرة للإنسان"، والمراد بالخُلُق بضم الخاء واللام "الصورة الباطنة للإنسان" وكثيراً ما يستعمل حسن الخلق مع الخلق، فيقال فلان حسن الخُلُق والخَلْق، أي حسن الباطن والظاهر، وذلك أن الإنسان مركب من جسد ونفس – فالجسد مدرك بالبصر والنفس مدركة بالبصيرة، فالمدرك بالبصر يسمى خَلْقاً والمدرك بالبصيرة يسمى خُلُقا، ولكل واحد منهما صورة إما جميلة أو قبيحة والنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر ولذلك قال تعالى: {**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**}[2]. فنسب الجسد للطين ونسبت الروح لرب العالمين [3].

(١) راجع: ابن منظور، لسان العرب (١٤/ ١٢٤٥)، مادة (خلق).

(٢) سورة ص: ٧١، ٧٢.

(٣) راجع الإمام محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين، الناشر دار بدر القاهرة، بدون رقم للطبعة وبدون تاريخ، ص ١٥.

خلاصة المعاني اللغوية:

من المعاني السابقة التي وردت في المعجم لمادة (الخُلُق) بضم الخاء واللام وسكون القاف، ندرك أن الأخلاق ترد بمعنى الطبيعة، والسجية، والدين، والمروءة.

ومن هذه المعاني اللغوية يتضح أن الأخلاق تستعمل بمعنى فضائل النفس، بمعنى الطبائع والسجايا كيفما كان نوعها، والدليل على استعمال الأخلاق بمعنى الفضائل قوله تعالى في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[1].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : "إن العبد ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم"[2]، حيث خصص الله عموم الخلق في الآية بصفة العظمة، وخصصه النبي صلى الله عليه وسلم بصفة الحسن، ومعنى ذلك أنه لا يدل فيها على أكثر من معنى الطبيعة، ولما كان المقام في الآية للمدح، وفي الحديث للإشادة بالفضيلة والترغيب زيدت صفة تعيين المراد في كل نص، ولو كان بمعنى الخلق مرادفاً لمعنى الفضيلة لم يكن ثمة داع لزيادة تلك الصفات[3].

---

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) سنن أبي داود كتاب الأدب، باب حسن الخلق (٥/ ١٤٩).

(٣) راجع د/ محمد سعد نشوان، الدين والأخلاق في الشعر، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، ط ١، سنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص ٦٩، ٧١.

وقال سالم بن وابصة مشيراً إلى العلاقة بين الفضيلة والأخلاق:

عليك بالقصد فيما أنت فاعله

إن التخلق يأتي دونه الخـــلق

وروى الشطر الأول من البيت في لسان العرب:

يا أيها المتحلي غير شيمته [1].

(ب) مفهوم الأخلاق في الاصطلاح:

على الرغم من اعتراف جميع الفلاسفة والعلماء بأن علم الأخلاق يعتبر من أهم العلوم الإنسانية إلا أنه صعب عليهم أن يضعوا له تعريفاً جامعاً مانعاً، وذلك يرجع إلى أسباب أهمها:

أ - شمول هذا العلم واتساع حدوده حيث أنه يبحث في كل الأعمال الإنسانية الإرادية، فهو بذلك يتضمن كل أعمال الإنسان الإرادية وانطباعاته وعلاقاته بالآخرين، وكلها أمور واسعة النطاق.

ب- التطور التاريخي الذي حدث لهذا العلم حيث إنه ارتبط وجوده بظهور الحياة الإنسانية على وجه الأرض، وبذلك فقد صاحب كل العصور والمجتمعات وارتبط بكل العقائد الدينية التي دانت بها

(١) ابن منظور، لسان العرب ج مادة خلق، ص ١٢٤٥.

كل الشعوب، الأمر الذي جعله يتطور ويتدرج نحو الكمال على أسس دينية اختلفت فيما بينها نتيجة اختلاف العقائد التي دانت بها الشعوب [1].

ج- الاختلاف العقائدي والمذهبي بين الفلاسفة المُعَرِّفين لعلم الأخلاق فكل فليسوف يُعَرِّفُ الأخلاق من واقع ما يدين به ويعتقد، ولهذه الأسباب فقد صعب على الفلاسفة أن يضعوا تعريفاً محدداً لهذا العلم، ولكن على الرغم من هذه الصعوبة في وضع تعريف محدد، إلا أن الفلاسفة قد وضعوا عدة تعريفات للأخلاق محاولين بها الوصول إلى تعريف يجمع كل مسائل علم الأخلاق ويمنع دخول غيره فيه.

وهذه بعض التعريفات وآراء الأخلاقيين في قبولها أو رفضها:

١- الأخلاق : هي علم العادات، وأصحاب هذا التعريف قد تأثروا بالأصل الإغريقي لكلمة "إيتوس" ومعناها: العادة.

وهذا التعريف قد وجه إليه النقد من ناحية أنه غير جامع لأنه يضيق دائرة الأخلاق ويحصرها في العادات والتقاليد، فهو بجانب ذلك علم معياري يقيم أعمال الإنسان ويحكم عليها بأنها خير أو شر [2].

(١) راجع د/ سمير أبو العينين أصول الأخلاق الدولية، نيو أوفست للطباعة، القاهرة ط١، ١٩٨٩، ص ١١.

(٢) راجع: د/ محمد بيصار، العقيدة و الأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط ٤، سنة ١٩٧٣م، ص ٢٢٢، ٢٢٣.

٢- الأخلاق: هي علم الخير والشر، حيث تحدد الأعمال الخيرة والأعمال الشريرة وقد وجه النقد لهذا التعريف كذلك من حيث إنه يضيق دائرة العلم ويحصرها في أعمال الخير والشر ودائرة العلم أوسع من ذلك فهو يشمل الواجب والواجبات القيم [١].

٣- الأخلاق: هي دراسة الواجب والواجبات، وهذا التعريف قد وجه إليه النقد أيضاً على أساس أنه يضيق دائرة العلم، ويهمل جانب تقييم أعمال الإنسان على أساس كل الخير والشر.

٤- أما "جورج جوسدورف" فيقول: تعرف الأخلاق بأنها طريقة معينة للنظر إلى مجهود التعبير عن الإنسان في العالم.

وقد وجه النقد لهذا التعريف، من حيث إنه ذو طابع وجودي النـــزعة، إذ هو يفترض أن أفعال الإنسان هي التي تخلق وجوده، وما أفعاله إلا تعبيره عن نفسه في العالم [٢].

٥- الأخلاق: هي عادة الإرادة التي يتم فيها تغلب عامل من قوى النفس على غيره.

وقد وجه النقد لهذا التعريف حيث إنه يشمل كل أعمال الإنسان

(١) راجع: د/ أبو بكر محمد ذكري، تيسير فلسفة الأخلاق، دار التأليف بالقاهرة ط١، سنة ١٩٨٨م، ص ٨٩.

(٢) د/ عبد الرحمن بدوي، الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات الكويتية، ص ٢، سنة ١٩٧٦، ص٩.

التي تصدر عن طريق الإرادة دون النظر عما إذا كانت هذه الإرادة حرة أو مقيدة، لأن علم الأخلاق يقتصر على الأعمال التي تصدر بالإرادة الحرة [1].

٦- الأخلاق: علم يحدد الفرق بين الظلم والعدل فالأخلاق فالفاضلة ينبع منها العدل، والأخلاق الفاسدة ينبع منها الظلم، وهذا تعريف الفيلسوف الإغريقي أفلاطون.

ولكن هذا التعريف يوجه إليه النقد على أساس أن العدل وإن كان أسمى القيم الأخلاقية، إلا أن دائرة الأخلاق أشمل من هذا حيث تشتمل على قيم عليا أخرى مثل التعاون والمحبة والشجاعة والعفة، فهذا التعريف غير جامع لأنه يضيق دائرة الأخلاق [2].

٧- ويعرف العالم الفرنسي "لوسن Lesienn" الأخلاق فيقول: هي علم يحدد كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك، وهذا التعريف يوجه إليه النقد علي أساس أنه يضيق دائرة اختصاص علم الأخلاق ويقصره على السلوك فقط ويهمل جوانب مهمة داخلة في اختصاصه مثل الضمير وغيره من الموضوعات.

---

(١) محمد الغزالي، عقيدة المسلم، دار الكتب الإسلامية، القاهرة ، ط ٤، سنة ١٩٨٤م ص ١٦٢.

(٢) د/ محمد عبد الستار نصار، دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم الكويت، ط(١) سنة ١٩٨٢م، ص ١٧.

٨- ويعرف جوليفيه Jolvat الأخلاق: بأنها العلم الباحث في الاستعمال الواجب لحرية الإنسان ابتغاء بلوغه غايته النهائية، وقد وجه نقد لهذا التعريف من كثير من العلماء علي أساس أنه يحيط به الغموض وبأن الحرية ليست هي المعبر الواضح عن القيم والمبادئ الأخلاقية [١].

٩- الأخلاق: "علم يعبر عن حال النفس التي بها يفعل الإنسان أفعاله" وهذا التعريف قد وجه إليه النقد من جانب بعض العلماء الذين يعتبرون دائرة الأخلاق تتضمن موضوعات أخرى بجانب الضمير والسلوك مثل المبادئ والقيم الأخلاقية والأسس التي تحدد استقامة السلوك الإنساني [٢].

١٠- الأخلاق: "علم يوضح لنا الحياة الأخلاقية، ويساعدنا على معرفة الغاية الأخيرة للحياة، ويبين لنا المقياس الأخلاقي الذي نهتدي به في الحكم على الأعمال"، وباختصار: "هو علم ينير الطريق لما ينبغي أن يكون"[٣].

١١- وعرف ابن مسكوبة الأخلاق فقال: "الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين:

---

(١) نفس المصدر السابق، ص١٤.

(٢) د/ سمير أبو العينين، أصول الأخلاق الدولية، ص ١٣.

(٣) د/ محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق ، دار القلم، الكويت ط ٣، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، ص ١٧، ١٨.

"منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب ويهيج من أقل سبب.

ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب وربما كان مبدؤه بالرؤية والفكر، ثم يستمر عليه أولاً بأول حتى يصير ملكة وخلقا [1].

وبالتأمل في هذا التعريف يلاحظ أن ابن مسكوبة قد جمع بين موقف التجريبيين القائلين بأن الأخلاق مكتسبة وليست فطرية وبين موقف المثاليين القائلين بأن الأخلاق فطرية وأن الإنسان يستطيع أن يميز بطبيعته بين الخير والشر.

فالخلق عند ابن مسكوبة على هذا البيان صورة أو حالة للنفس حين تصدر عنها أفعالها في سهولة ويسر سواء كان مصدر هذا الخلق الطبع أو التكرار حتى يصير عادة.

إلا أنه قد وجه نقد لهذا التعريف على أساس أن للنفس قوى ووظائف متعددة وكل تلك القوى تتقلب بينها النفس الإنسانية ، وتصدر عنها أثارها المختلفة في سهولة ويسر فهل يسوغ لنا أن نسمي شيئاً من هذه الآثار خلقاً [2].

(١) راجع: أبو علي أحمد بن محمد بن مسكوية، تهذيب الأخلاق في التربية، دار الكتب العلمية، بيروت ط١ سنة ١٤٠٥هـ/ ١٦٨٥م ص ٢٦.

(٢) راجع: سامي عفيفي حجازي، العلاقة بين العقيدة والأخلاق في الإسلام، رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين بالقاهرة، سنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م، ص ١١٥، ١١٧.

١٢- وعرف الإمام أبو حامد الغزالي الأخلاق فقال: "الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية.

فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً.

ويعلل الإمام الغزالي لهذا التعريف فيقول: "إنما قلنا إنها هيئة راسخة، لأن من يصدر منه بذل المال على النذور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لا من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم، وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء [١].

ولقد أيد هذا التعريف الشريف الجرجاني حيث ذكره في كتابه التعريفات [٢]، وعلى أساس هذا التعريف للإمام الغزالي تكون

(١) الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مكتبة زهران القاهرة، بدون رقم للطبعة وبدون تاريخ، (٢/ ٥٢).

(٢) الشريف علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط ١، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٠١.

الأخلاق: انفعالاً بحركة الباطن وإرادته وهذا ما يجعلنا نربط الأخلاق بالعقيدة والشريعة معاً.

وبهذا التعريف يكون الإمام قد ميز الحقيقة الخلقية عما عداها من هيئات النفس الأخرى فهو يرى أن السلوك المتكلف لا يسمى خلقاً حتى يصير عادة وحالة للنفس راسخة والخلق سلوك مقوم بمعيار الخير والشر [1].

١٣- وفي دائرة المعارف للبستاني: الأخلاق هي العلم بالفضائل وكيفية اقتنائها ليتحلى الإنسان بها وبالرذائل وكيفية توقيها ليتخلى عنها.

ولقد زاد على هذا التعريف الدكتور/ محمد بيصار فقال:

الأخلاق هي العلم بالفضائل وكيفية اقتنائها ليتحلى بها الإنسان، والعلم بالرذائل وكيفية توقيها ليتخلى عنها، والإلمام بقواعد السلوك الإنساني وبالقياس الذي تقاس به أعمال الإنسان الإرادية فيحكم عليها بأنها خير أو شر، مع تحديد الجزاء لكل منها [2].

(١) راجع سامي عفيفيَ حجازي، العلاقة بين العقيدة والأخلاق في الإسلام، ص ١١٩، ١٢٠.

(٢) د/ محمد بيصار، العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، ص ٢٢٤.

خلاصة التعريفات الاصطلاحية:

اتضح مما سبق كيف أن أداء الفلاسفة والعلماء قد اختلف في تحديد تعريف جامع مانع للأخلاق.

ولكن على الرغم من هذا الاختلاف فإن أقرب التعريفات التي تحدد مفهوم الأخلاق هو تعريف الإمام الغزالي وتعريف الدكتور بيصار السابقان.[1]

حيث إن تعريف الإمام الغزالي قد ميز فيه الحقيقة الخلقية عما عداها من الصفات النفسية، ووضع لها شرطين، حتى تكون خلقاً:

الأول: أن تكون راسخة في النفس.

الثاني: أن تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر.

وتعريف الدكتور/ بيصار، قد استطاع أن يصور فيه الإطار العام لذلك العلم ويحدد القدر المشترك بين مختلف تعريفات العلماء والباحثين في كل الأزمان ولدى مختلف الجماعات والأمم، وقد تضمن هذا التعريف مفهوماً مُتَّسعاً للأخلاق، واشتمل على معظم الموضوعات التي تدخل في دائرة اختصاصاته، وبذلك يكون من أفضل التعريفات التي تقرب بين جميع التعريفات السابقة.

---

(١) راجع تعريف الإمام الغزالي وكذلك تعريف لدكتور/ بيصار ص ٨.

(ج) السمات العامة التي تحدد مفهوم دائرة الأخلاق:

على الرغم من اختلاف آراء العلماء في تحديد مفهوم للأخلاق إلا أنه أمكن استنتاج سمات خاصة تحدد مفهوم دائرة الأخلاق أهمها:

١- إن الأخلاق ليست علماً وصفياً بل هي علم معياري يضع المعايير التي ينبغي مراعاتها والتي بها تقاس أفعال الإنسان الإرادية والحكم عليها.

٢- إنها تتضمن قواعد عامة محددة لاستقامة السلوك الإنساني دون اعتبار للزمان والمكان.

٣- الأفعال الحرة التي تصدر عن الإنسان هي وحدها التي تندرج تحت النظام الأخلاقي[١].

٤- الأخلاق علم مؤثر في حياة الإنسان ويتحرك معه في جميع العلوم التي تتصل به.

٥- الأخلاق ترتكز على جانبين نظري "الضمير" وعملي "السلوك"[٢].

د- مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم:

لقد ورد لفظ الخُلُق بضم الخاء واللام في القرآن في موضوعين:

(١) راجع عبد الرحمن بدوي "الأخلاق النظرية" ص ١١.

(٢) راجع د/ سمير أبو العينين: "أصول الأخلاق الدولية" ص ١٥.

١- الأول في قول الله عز وجل في سورة الشعراء {إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ}[١]. وهو تعليل لما ادعوه من المساواة، أي ما هذا الذي جئتنا به إلا عادة الأولين يلفقون مثله ويدعون إليه، أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها [٢] أو ما هذا الذي نحن عليه إلا دين الأولين [٣].

٢- الثاني في قول الله عز وجل في سورة القلم {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[٤] ، وهذه الآية تشير إلى عظم خلق النبي محمد صلى الله عليه وسلم أي أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد بلغ من حسن الخلق ما لا يدرك شأنه أحد من الخلق، ولقد روى الإمام مسلم بسنده عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أنها سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: "كان خلق النبي صلى الله عليه وسلم القرآن"[٥] وأرادت بذلك فيما قيل، إن ما

---

(١) سورة الشعراء : ١٣٧

(٢) راجع العلامة شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار الفكر بيروت، بدون رقم للطبعة، سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٦م (١٩/ ١١٢).

(٣) راجع أبي عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي "تفسير القرطبي" دار الشعب القاهرة، بدون رقم للطبعة وبدون تاريخ (٥١/ ٤١- ٤٨) راجع الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي "تفسير القرآن العظيم" مكتبة الإرشاد بدون رقم للطبعة سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، (٣/ ٣٤٢).

(٤) سورة القلم: ٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين باب الصلاة (٦/ ٢٦).

فيه من المكارم كلها فيه صلى الله عليه وسلم وما فيه من الزجر عن سفاسف الأخلاق كان منـــزجراً به صلى الله عليه وسلم وربما يرجع إلى هذا قولها كما في رواية ابن المنذر وغيره عن أبي الدرداء أنه سألها عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقال: "كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه".

وقيل أرادت بقولها كان خلقه القرآن تخلقه بأخلاق الله تعالى لكنها لم تصرح به تأدباً منها [1].

وقال ابن عباس ومجاهد: على خلق أي على دين عظيم من الأديان، فليس دين أحب إلى الله تعالى ولا أرضى عنه منه [2]، والظاهر من هذه المعاني لكلمة الخلق في هذه الآية، أن الرأي الأول هو الأقرب إلى الصواب، وهو أنه صلى الله عليه وسلم يتصف بجميع الأخلاق الكريمة التي بينها الله تعالى في القرآن، وكذلك كان يتجنب الأخلاق السيئة التي بينها الله وذلك بفعل الأوامر وترك النواهي.

هـــ- مفهوم الأخلاق في السنة المطهرة:

لقد ورد لفظ الخلق وما اشتق منه في مواضع كثيرة من السنة

(١) راجع العلامة شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (٢٨/ ٣٠).

(٢) راجع أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تفسير القرطبي ، ط دار الشعب، (٧٣/ ٦٦، ٦٧).

النبوية المطهرة منها:

أ- ما رواه البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له – أبو عمير – قال أحسبه فطيماً [1] وكان إذا جاء قال يا أبا عمير ما فعل النغير [2]، نغير كان يلعب به فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس وينضح ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا"[3].

ب- وما رواه الترمذي بسنده عن عبد الله الجدلي، قال سألت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم يكن فحاشاً ولا متفحشاً ولا صاخباً في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح"[4].

ج- وما رواه أبو داود بسنده عن المنذر الأشج أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: "إن فيك خلقين يحبهما الله، الحلم[5] والأناة،

(١) فطيم: بمعنى مفطوم ، أي انتهى رضاعه.

(٢) النغير: طائر صغير، واحده نغره، وجمعه نغران.

(٣) فتح الباري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبية (١٠/ ٥٩٨)

(٤) عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي صلى الله عليه وسلم (٨/ ١٧٣، ١٧٤).

(٥) الحلم ، بكسر الحاء وسكون اللام.

قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليها: قال بل الله جبلك عليهما، قال الحمد لله الذي جبلني على خلتين [1] يحبهما الله ورسوله"[2].

د- وما رواه أحمد بسنده عن السائب بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا سائب انظر أخلاقك التي كنت تصنعها في الجاهلية، فاجعلها في الإسلام، أقر الضيف وأكرم اليتيم وأحسن إلى جارك"[3].

هـ- وما رواه الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم"[4].

و- وما رواه مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها، حين سئلت عن أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت: إن خلق النبي صلى الله عليه وسلم كان القرآن".

ويفهم من هذه الأحاديث: أن الأخلاق قد وردت في السنة النبوية

---

(١) خلتين: أي خصلتين أو خلقين.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب قبلة الرجل (٥/ ٣٩٥، ٣٩٦).

(٣) تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (٤/ ٣٢٥).

(٤) تصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين (٦/ ٢٦).

بعدة معان: فقد وردت بمعنى الأخلاق الحسنة، كما في الحديث الأول، في قول السيدة عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً.

كما وردت بمعنى الأعمال الظاهرة التي هي من أعمال الجوارح كما في الحديث الثاني في قول السيدة عائشة رضي الله عنها لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فحاشاً ولا صخاباً في الأسواق، وكما في الحديث الرابع في قول النبي صلى الله عليه وسلم للسائب بن عبد الله أقر الضيف، وأكرم اليتيم وأحسن إلى جارك، فهذه من الأعمال الظاهرة التي تقوم بها الجوارح وهذه الصفات تعد من الأخلاق الظاهرة.

ووردت أيضاً بمعنى الأعمال الباطنة كما في الحديث الثاني في قول السيدة عائشة رضي الله عنها، ولكن يعفو ويصفح، فالعفو والصفح من الأعمال الباطنة، وكذلك كما في الحديث الثالث قول النبي صلى الله عليه وسلم ، إن فيك خُلُقَين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة، فهذه الصفات الواردة في الحديثين من الأعمال الباطنة التي تتعلق بالقلب وهي تعد من الأخلاق الباطنة.

كما وردت كذلك بمعنى كمال الإيمان حيث إنها نوع منه بل أكمل أنواعه وأعلى مراتبه كما في الحديث الخامس في قول النبي صلى الله عليه وسلم ، أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً.

وعلى هذا فمفهوم الأخلاق في السنة قد اتسع حتى شمل الجانب الحسن والجانب القبيح، وشمل الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة والأوامر والنواهي والقول والفعل، وما يتعلق بحقوق الله وحقوق العباد، فالأخلاق من الإيمان بل هي كماله وأعلى مراتبه.

و- العلاقة بين العقيدة والأخلاق:

منذ الأزل نزلت الرسالات السماوية لتهذيب النفوس من الغرائز التي تنطوي على الجشع والطمع وحب الذات، وتدعو إلى التسامح والمحبة والتعاون بين البشر [1]، وتدعو إلى ما هو فضيلة فالرسالات السماوية رسالات أخلاقية، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[2] فرسالته صلى الله عليه وسلم هي امتداد وإتمام للرسالات الأخلاقية التي نزلت قبله، وعرف على مر الزمان ما أنزله الله سبحان وتعالى على عباده يتضمن أسس وقواعد الأخلاق الحميدة، مثل قوله تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**}[3].

قال تعالى: {**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**}[4].

(١) د/ سمير أبو العنين، أصول الأخلاق الدولية، ص ١٥٢.

(٢) الموطأ (٢/ ٩٠٤).

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٤) سورة الأعراف: ١٥٦.

وقال تعالى:

{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}[1].

قال تعالى:

{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[2].

وقال صلى الله عليه وسلم : "إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيدكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعينه"[3].

قال صلى الله عليه وسلم: "لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي ولا يقولن المملوك ربي وربتي، وليقل المالك فتاي وفتاتي وليقل المملوك

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب حق المملوك (٥/ ٣٦٠).

سيدي وسيدتي فإنكم المملوكون والرب الله عز وجل"[1] .

ولقد اهتمت الشريعة الإسلامية بالأخلاق واعتنت بتمجيد الفضائل، والحط من شأن الرزائل فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ}[2].

بل إن الأخلاق في الرؤية الإسلامية الصحيحة ليست إلا ترجمة عملية للعقيدة التي يتعلق بها قلب المؤمن: وأنه بالنظرة الموضوعية في أمر العقيدة الإسلامية يتبين أن هذه العقيدة تقوم على أساس أخلاقي يتمثل في الصدق والإخلاص فيها، و من هنا فإن من لم يعمر الإيمان قبله بإخلاص وصدق كان منافقاً في عقيدته ومخادعاً مخالفاً في سلوكه وأخلاقه، ومن ثم فلا قيمة لإيمانه بالمزعوم في هذه الحالة [3].

فعلامات حسن الخلق هي علامات الإيمان وعلامات سوء الخلق هي علامات الكفر والنفاق لأن إذا وصل بعقيدته الدينية إلى درجة التصديق الجازم والإيمان الراسخ فإنه من المستحل أن يخالف أمر هذا الدين في سلوكه وأعماله، كما أن عقيدته التي يقتنع بها ستكون القوة

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك ربي وربتي (٥/ ٢٥٦).

(٢) سورة الأعراف: ٤٠.

(٣) د/ محمود عبد المعطي بركات، محاضرات في الأخلاق، بدون رقم للطبعة سنة ١٩٨٢م، ص٤.

الدافعة التي تحثه على السير قدماً في طريقها وتحثه على ممارسة الشعائر الدينية وعلى التحلي بحسن الخلق وإتيان فضائل الأعمال واجتنابه لكل عوامل الشر [1]، اللهم إلا إذا كان اعتقاده زائفاً أو تدينه ظاهرياً فإيمانه بحسب هذا المعتقد مجرد تقليد للآخرين من غير تصديق قلبي أو رضي نفسي يصل إلى حد اليقين [2].

وعلى هذا فالعقيدة الدينية هي أكبر ضمان لسلامة أخلاق البشر وإنها في كل العصور اعتبرت أساساً للأخلاق الصالحة واعتمد عليها لبيان الأخلاق الغير صالحة وهي الشر والرذيلة.

ويشير الدكتور/ دراز إلى هذا العلاقة، فيقول: "إذا نظرنا إلى الدين من حيث هو معرفة الحق الأعلى وتوقيره وإلى الخلق من حيث هو قوة النـــزوع إلى فعل الخير وضبط النفس عن الهوى كان أمامناً حقيقتان مستقلتان، يمكن تصوير إحداهما بدون الأخرى فتختص أولاهما بالفضيلة النظرية الأخرى بالفضيلة العملية غير أنه لما كانت الفضيلة العملية يمكن أن تتناول حياة الإنسان في نفسه وفي مختلف علاقاته مع الخلق ومع الرب كان القانون الأخلاقي الكامل هو الذي يرسم طريق المعاملة الألوهية كما يرسم طريق المعاملة الإنسانية، وكذلك لما كانت

(١) راجع د/ سمير أبو العينين، أصول الأخلاق الدولية، ص ١٥٣.

(٢) راجع ج/ محمد بيصار، العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع.

الفكرة الدينية الناضجة هي التي لا تجعل من الإلهية مبدأ تدبير فعال فحسب، بل مصدر حكم وتشريع في الوقت نفسه كان القانون الديني الكامل هو الذي لا يقف عند وصف الحقائق العليا النظرية وإغراء النفس بحبها وتقديسها، بل يمتد إلى وجوه النشاطات المختلفة في الحياة العملية فيضع لها المنهاج السوي الذي يسير عليه الفرد والجماعة، وهكذا يصل القانون الديني إذا استكمل عناصره إلى بسط جناحيه على علم الأخلاق كله، بل على سائر القوانين المنظمة لعلاقات الأفراد والشعوب بحيث يجعلها جزءاً متمماً لحقيقته ويصبغ كل قواعدها بصبغة القدسية [1].

والعقيدة باعتبارها المصدر الرئيسي للإحساس بقدسية القوانين الأخلاقية هي أكبر دافع إلى عمل الخير وإلى طاعة الله، وأكبر رادع عن الشر وعن اتباع الهوى وهي الحصن الأمين الذي يأوي إليه الإنسان إذا حزبه أمر أو أصابه ضر [2].

فالعقيدة الإسلامية هي التي تصلح النفس الإنسانية وبدونها لا يمكن أن يتحقق إصلاح ولا يتم استقرار ولا يتقوم خلق ولهذه الصلة الوثيقة

---

(١) راجع محمد عبد الله دراز، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، بدون رقم للطبعة سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ص ٥٦، ٥٧.

(٢) راجع مؤتمرات "بمجمع البحوث الإسلامية" التوجيه الاجتماعي في الإسلام ، بدون رقم للطبعة سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، (٤/ ٧).

بين الإيمان والأخلاق والرابطة المتينة بين الإيمان والعمل انتبه علماء التربية والاجتماع في العرب وفي كثير من الأمم فأصدروا توجيهاتهم وأعلنوا عن آرائهم بوجهات نظرهم بأنه من غير دين لا يتم استقرار، وبغير إيمان لا يتحقق إصلاح ولا يتقوم خلق ولذلك يقول الفليسوف الألماني (فختة) إن الأخلاق من غير دين عبث.

ويقول الزعيم الهندي (غاندي): "إن الدين ومكارم الأخلاق شيء واحد لا يقبلان الانفصال، ولا يفترق بعضهما عن بعض فهما وحدة لا تتجزأ".

كما يقول القاضي البريطاني (دينج) "في فضيحة الوزير البريطاني وكريسيتن كلير، بعد أن مكث ثلاثة شهور يحقق في هذه القضية قابل خلالها مائة وثمانين رجلاً وامرأة وعكف يدرس القضية بمنظار الباحث المدقق فخرج منها بنتيجة هامة أعلنها في قوله "بدون الدين لا يمكن أن يكون هناك أخلاق، ولا يمكن أن يكون هناك قانون"[1].

ويقول الفليسوف الفرنسي (جارودي) من المستحيل ومن غير الممكن تكوين علم أخلاق مكتف بذاته وبعيد عن كل وحي ديني أو ميتافيزيقي.

---

(١) راجع د/ يوسف القرضاوي ، الإيمان والحياة، مكتبة وهبة القاهرة، بدون رقم للطبعة، وبدون تاريخ ص ٢١١.

ويقول الفليسوف العربي المسلم (أبو الوليد بن رشد)، بأن كل إنسان لا يخلو من عقيدته الدينية وأن الدين ظاهرة تعم البشر، والمعتقدات الدينية قديمة قدم الإنسان، ووجودها دائم هذا دليل على أن جميع شعوب العالم لديها عقائد دينية وأنهم لا يعبرون عن إنسانيتهم في واقع الحياة إلا من خلال سلوكهم الذي لا يقوى على البقاء والاستمرار إلا من خلال عقائدهم الدينية لأن الدين ضرورة للإنسان ولا يمكن أن يستبدل به أي مثل أخرى تكون أساساً للسلوك [1]، وأن العقيدة الدينية تجعل للأخلاق فاعلية وإيجابية مؤثرة إذ أن الفكرة المجردة لا تصبح عاملاً فعالاً إلا إذا تضمنت عنصراً دينياً وهذا هو السبب في أن الأخلاق الدينية أقوى من الأخلاق المدنية إلى حد يستحيل معه المقارنة، لذلك لا يتحمس الإنسان في الخضوع بقواعد السلوك القائمة على المنطق، إلا إذا نظر إلى قوانين الحياة على أنها أوامر منـــزلة من الذات الإلهية [2].

ومن هنا يمكن القول إنه لا مكان للأخلاق بدون عقيدة، لأن العقيدة تتصل بالأخلاق ذاتها وهي معناها الإيمان بالحقيقة الأخلاقية التي تسمو بالفرد، فالعقيدة والأخلاق بينهما تكامل قوي وعلاقة وثيقة تجعل

(١) راجع د/ سمير أبو العينين، أصول الأخلاق الدولية ، ص١٥٤.

(٢) د/ مصطفى حلمي، الأخلاق بين الفلاسفة وحكماء الإسلام، مكتبة دار الثقافة العربية بدون رقم للطبعة سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٥، ٢٦.

من الأولى أصلاً وقاعدة للثانية وتجعل من الثانية أثراً للأولى وترجمة عملية لها وسواء كانت العقيدة أصلاً للأخلاق ومصدراً للسلوك الإنساني ومتفرعة منها ومترتبة عليها فإن الذي يعنينا إنما هو هذا الرباط الوثيق الذي يصل الأخلاق بالعقيدة ويؤكد الصلة القوية بينهما على نحو يجعل انفصال العقيدة عن الأخلاق واستقلالها بذاتها أمراً مستحيلاً أو على الأقل مشكوكاً فيه [1]، هذا الرباط الذي يجعل حسن الأخلاق نابعًا من التمسك بالدين وتدهور الأخلاق نابعًا من غياب الدين، هذا الرباط وهذه الصلة التي يشعر بها من يقرأ قول الحق تبارك وتعالى: {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}[2].

فالقارئ لهذه الآيات يشعر في قرارة نفسه أن تعليم القرآن يرشد إلى الطريق المستقيم، ذلك المعنى هو الينبوع الذي تنطلق منه العقيدة والفرقان الذي تظهر انطباعاته في سلوك الإنسان، والقرآن من ناحية ثانية مادة الأخلاق ، فالعقيدة و الأخلاق ينتسبان إلى أصل واحد وهو الأصل الإيماني [3].

ولذلك قال الله تعالى لنبيه مثنياً عليه ومظهراً نعمته لديه:

{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[4] .

(١) راجع د/ محمد بيصار، العقيدة و الأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، ص ٥٥.

(٢) سورة الرحمن: ١-٤.

(٣) د/ سامي عفيفي، العلاقة بين العقيدة و الأخلاق ، المقدمة ص ج.

(٤) سورة القلم: ٤.

وعلى ذلك فالعقيدة الدينية هي الشمول الذي يحيط بإرادة الإنسان وبشعوره الظاهر والباطن ولا يسمح لجانب من النفس أن يخلو منها، حيث تمثل مصير الإنسان ومعنى وجوده وكل علاقاته الإنسانية والاجتماعية[1]، وهي الأساس الذي قام عليه جوهر وحقيقة الإنسان، فالإنسان إنما يكون إنساناً بقدر ما يعتقد اعتقاداً سليماً وبقدر ما يسلك سلوكاً قويماً فالعقيدة تفرض قواعد السلوك وبهذه الكيفية فهي تتحد مع قواعد الأخلاق التي لا تخرج عن كونها قواعد سلوك [2].

وبذلك فقد اتضح مدى الصلة الوثيقة بين العقيدة والأخلاق.

ز- العلاقة بين الشريعة والأخلاق:

اتضح فيما سبق مدى الصلة الوثيقة بين العقيدة و الأخلاق ، هذه الصلة التي تجعل من الأولى أصلاً للثانية ومن الثانية، أثراً وانطباعاً عن الأولى، بل إن العقيدة نفسها تقوم على أساس أخلاقي يتمثل في الصدق والإخلاص فيها، فهذه الرابطة الوثيقة بين العقيدة والأخلاق توجد كذلك بين الجانب الثاني في الإسلام، وهو الجانب الشرعي وبين الأخلاق حيث إن الشريعة الإسلامية هي النظم التي شرعها الله سبحانه وتعالى ووضع أصولها ليستضئ بها الإنسان فيما هو بصدده وما هو

(١) راجع د/ سمير أبو العينين ، أصول الأخلاق الدولية، ص ١٤٩.

(٢) نفس المرجع، ص ١٤٨.

ضروري لحياته من علاقات كعلاقته بربه، وعلاقته بالناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين وكعلاقته بالكون الذي يعيش فيه، وعلاقته بنفسه، وفي لغة القرآن خصصت العقيدة باسم الإيمان وخصصت الشريعة باسم "العمل الصالح"، أو الاستقامة [1].

قال تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً} [2].

وقال تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [3].

فممارسة تحكيم الشريعة في حياة الفرد وعلاقات الناس مرة بعد مرة وتعايش الناس على هذا يؤدي إلى تكوين عادات سلوكية قويمة، وانضباط خلقي عظيم في حياة الفرد والجماعة [4].

---

(١) راجع د/ محمد بيصار، العقيدة و الأخلاق ، ص ٩٧.

(٢) سورة الكهف: ١٠٧، ١٠٨.

(٣) سورة الأحقاف : ١٣.

(٤) عبد الرحمن نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ص ٤٩.

والإسلام قد سما بالخلق الفاضل إلى درجة القرب من الله والحظوة بمحبته ورضاه ما دام صاحبه قد انتهج منهج الله واستقام على طريقه المستقيم، يقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}[1].

وكذلك فإن الخلق الذميم والخصال الرديئة قد تحط بالإنسان إلى درك الكفر وذلك كمن يستحل فعلاً منهياً عنه، كالسرقة والزنا، والخمرة، لأن إنكاره معلوم الدين بالضرورة، لذلك فقد أوجب حدوداً شرعية وعقوبات تقام على من يرتكب بعض هذه الرذائل التي نهى الله عنها، وذلك كله حماية للمجتمع من موبقات تلك الرذائل [2].

وعلى هذا فالشريعة بما تشتمل عليه من عبادات، وتشريعات أخرى تعمل على السمو الأخلاقي للإنسانية، فالعبادات التي شرعت ليست بعيدة الصلة بالأخلاق، بل إنها تهدف إلى خلق سام وإلى تهذيب الوجدان وتربية الضمير ليس ذلك فحسب بل إنها تحقق الغاية من خلقه، بل إن هذه العبادات إن لم تقترن بها الأخلاق فإنها تصبح عبادات

(١) سورة فصلت: ٣٠.

(٢) راجع د/ محمود عبد المعطي بركات، مباحث في الأخلاق ، دار الهدى للطباعة، القاهرة، ط ١ سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢، ص ٩٤، راجع د/ محمود عبد العاطي بركات، محاضرات في الأخلاق، ص ٥.

جوفاء لا فائدة فيها ولا جدوى منها [1]. فهي تعمل على تربية الضمير الإنساني ليأتلف المؤمن مع غيره ويرتبط به ارتباطاً روحياً، فما كانت العبادات لحاجة الله إليها ولا لمجرد التقرب إليه سبحانه حتى يكون ذات التقرب ولو بظاهر القول غرضاً مقصوراً.

إنما كانت العبادات لتربية الضمير الديني اللوام عند مقارفة معصية أو مقاربتها وللإحسان بالاطمئنان متذكراً [2] الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى:

{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [3].

وعلى ذلك فالعبادات التي شرعت كالصلاة، والزكاة، والصيام والحد ليست طقوساً مبهمة من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة، بل إنها تمارين متكررة لتعويد الإنسان على أن يحيا بأخلاق صحيحة وأن يظل مستمسكاً بهذه الأخلاق مهما تعددت أمامه الظروف، إنها أشبه بالتمارين الرياضية التي يقوم بها الإنسان ملتمساً في المداومة عليها عافية البدن وسلامة الحياة، وسيأتي الحديث عن هذه العبادات

(١) راجع سامي عفيفي، العلاقة بين العقيدة و الأخلاق ، ص ٣٠٠.

(٢) راجع الإمام محمد أبو زهرة، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، بدون رقم للطبعة وبدون تاريخ، ص ٩٠.

(٣) سورة الرعدة: ٢٨.

والمفترى الأخلاقي منها في الباب الثالث إن شاء الله.

وعلى هذا فكل التشريعات الإسلامية سواء كانت عبادات أو معاملات تشتمل على معان أخلاقية نبيلة، وتدعو إلى الأخلاق الفاضلة[1].

وهذا مما دفع إلى القول بأن هناك علاقة وثيقة بين الشريعة والأخلاق، وذلك لأن الحياة كلها عبادة في نظر الإسلام.

قال تعالى:

{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}[2].

وتشريع الله سبحانه وتعالى هو تنظيم للحياة في كل النواحي تنظيماً يهدف إلى إيجاد الحياة الأخلاقية، قال تعالى: **{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ}**[3].

ح- العلاقة بين السلوك والأخلاق:

السلوك هو كل عمل إرادي كقول الصدق، والكذب، والبخل، والكرم، والخلق، صفة نفسية وليست مظهراً خارجياً، فالأخلاق شيء

(١) راجع: عبد الرحمن نحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ص ٤٣.

(٢) سورة الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.

(٣) سورة الزمر: ١١، ١٢.

يتصل بالباطن أي بباطن الإنسان ولكننا من ناحية أخرى لا بد لنا من مظهر يدلنا على هذه الصفة النفسية الباطنية حتى نتعرف من خلاله عليها، وهذا المظهر هو السلوك فالسلوك إذاً هو المظهر الخارجي للخلق.

ولذلك يمكن أن نتعرف على الخلق بالسلوك، فإن كان السلوك حسناً دل ذلك على حسن الخلق وإن كان السلوك سيئاً دل ذلك على سوء الخلق [1].

فالأخلاق إذاً هي الصورة الباطنة للسلوك، ولهذا فالعلاقة بين السلوك والأخلاق هي علاقة الدال بالمدلول، فالصورة الظاهرة للفعل تدل على الصورة الباطنة ولكن هذه العلاقة لا تؤخذ كمقياس نفسر على ضوئه كل مظهر من مظاهر السلوك، إذا أن الإنسان في تصرفاته لا يخضع لما في نفسه فحسب بل إن هناك عوامل خارجية تؤثر فيه فلا تظهر أخلاقه الحقيقة في السلوك الظاهر، مثلماً قد يوجد رجل معطاء ولكن وجدت ضرورة جعلته لم يتمكن من الإنفاق، كعدم علمه أو ضياع ماله، ففي هذه الحالة إذا قلنا إن علاقة السلوك بالأخلاق هي علاقة الدال بالمدلول حكمنا على الرجل بالبخل على الرغم من أنه رجل معطاء، فعلى الرغم من الارتباط الوثيق بين السلوك و الأخلاق إذا

(١) راجع د/ محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق ، ص ٣٣، ٣٤. راجع د/ زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، مطبوعات دار الشعب، القاهرة، بدون رقم للطبعة وبدون تاريخ، ص ١٥٣، ١٥٤.

أن هناك عوامل أخرى يجب مراعاتها وهي الظروف والملابسات التي تحيط بالإنسان وتمنعه من عدم ممارسة سلوكه المعتاد [1].

ولذلك إذا قلنا إن علاقة السلوك بالخلق هي علاقة الدال بالمدلول، فإننا نريد أنها لا يكون إلا بعد مراعاة الظروف والقرائن ومعرفة عادة الرجل حتى يمكننا أن نميز بين ما هو طبيعي وثابت وبين ما هو وقتي وعارض ونكون بهذا قد أنصفنا الحقيقة [2].

ومن خلال هذا الاستعراض فقد ظهرت بصورة جلية تلك العلاقة الوثيقة بين السلوك والأخلاق، هذه العلاقة هي علاقة الدال بالمدلول، مع مراعاة بعض الظروف والملابسات التي تحيط بالإنسان وتمنعه من ممارسة ما اعتاد عليه، فالسلوك إذًا هو مرآة الخلق ومظهره، فإذا كان الخلق حسناً كان السلوك حسناً وإذا كان الخلق سيئاً كان السلوك سيئاً.

ط- أقسام الأخلاق:

يقال عن أي علم إنه نظري إذا كان لا يهتم إلا بالبحث في المسائل النظرية فقط، ولا يعنيه تطبيق هذه المسائل، ويقال عن العلم إنه عملي إذا كان يهتم بالناحية العملية التطبيقية وذلك بعد تحصيل ومعرفة

(١) راجع: د/ محمود حمدي زقزوق ، مقدمة في علم الأخلاق ، ص ٣٤.

(٢) راجع: د/ محمد ضياء الدين الكردي، و الأخلاق الإسلامية والصوفية ص ٣٧.

القواعد والمسائل التي تطبق عمليا، وبالتالي يكون هذا العلم نظرياً وعمليا في نفس الوقت، وغالب العلوم الإنسانية المعيارية من هذا القبيل فعلم المنطق مثلاً هو تحصيل مسائل وقواعد تعصم الذهن من الخطأ في التفكير فهو بذلك علم نظري، أما من ناحية تطبيق هذه القواعد حتى تعصم الذهن من الخطأ في التفكير فهو بذلك علم تطبيقي عملي [1].

وعلم الأخلاق هو أحد هذه العلوم المعيارية التي تشتمل على الجانب النظري والجانب العملي، ولهذا قد قسمه الباحثون إلى:

أ- الجانب النظري.

ب- الجانب العملي.

وعرف الأول باسم الأخلاق النظرية، وعرف الثاني باسم الأخلاق العملية، فالجانب الأول وهو الجانب النظري يختص بالبحث في ماهية الخير والشر ووضع قواعد السلوك ومقاييس الأعمال، ويبحث في الضمير الإنساني حقيقته ومظاهره [2]، من عواطف، كالرضا والسرور الداخلي لفعل الخير، والألم والتأنيب عند فعل الشر، وكذلك يبحث في كل ما يصدر من أحكام أخلاقية عن كل الأعمال وهل هي صادرة عن

(١) راجع: د/ محمد عبد الستار نصار، دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم بالكويت، ط١، سنة ١٩٨٢م، ص٢٢.

(٢) راجع: د/ محمد بيصار، العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع ص ٢٢٥.

فكر وروية أو عن تقليد ومحاكاة؟ ويبحث في مسائل الجبر والاختيار والثواب والعقاب والحق والواجب وما يتصل بهما من أعمال مع توجيه البحث والنقد للنظريات التي تبحث في هذه المسائل مع إيجاد الحلول لما تتقارب فيه الآراء والمشاكل الأخلاقية[1]، كما يعني بتحدي غاية الإنسان وكماله الذي يبشره والذي تتحقق به سعادته، وفيما يشبه هذا وذلك من أبحاث [2].

أما الجانب الثاني، وهو الجانب العملي التطبيقي: فهو يبحث في المسائل لا لمجرد أن يعرف ما فيها من صواب أو خطأ [3]، أو لمجرد أن يصل إلى وضع قانون نظري أو يحكم على عمل بأنه خير أو شر، ولكنه يبحث في المسائل ليحول الصواب منها إلى واقع عملي، ويحول القانون النظري إلى واقع تطبيقي، وهو يدرس الواجبات المختلفة كواجب الإنسان نحو ربه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو الإنسانية جمعاء، وكذلك يبحث في أقوم الطرق لتربية الخلق، واستقامة الضمير وتعويد الإنسان على الأفعال الحميدة بتكرارها، والإدمان على ممارستها وإبعاده عن نقائصها، ولذلك اعتمد المربون والمرشدون على علم الأخلاق في شئون التربية، والتهذيب لعنايته بالجانب التطبيقي في سلوك الفرد والجماعات

(١) راجع: د/ محمد عبد الستار نصار، دراسات في فلسفة الأخلاق ، ص ٢٣.

(٢) راجع: د/ محمد بيصار، العقيدة و الأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، ص ٢٢٥.

(٣) راجع: د/ محمود عبد المعطي بركات، مباحث في فلسفة الأخلاق ، ص ٢٠.

بجانب عنايته بالجانب النظري [1].

ى- اشتمال القرآن الكريم على الجانب النظري والعملي للأخلاق:

وبالنظر في القرآن الكريم يلاحظ أنه قد اشتمل على الجانبين النظري والعملي، فمن الناحية النظرية فالقرآن قد تحدث عن جميع العناصر للفلسفة الدينية حيث تحدث عن الله عز وجل ووجوده وصفاته، وتحدث أيضاً عن مصير الإنسان وأصله وغير ذلك مما يدخل في المعرفة النظرية، وهذه الحقائق التي تحدث عنها القرآن منذ أربعة عشر قرناً، عندما يتحدث المفكرون عنها خارج ضوء القرآن يقعون في أخطاء فادحة ولا يصلون لشيء منها إلا القليل، هذا عن الجانب النظري.

أما الجانب العملي: فالقرآن الكريم قد تضمن جوهر القانون الأخلاقي كله، هذا القانون الذي ظل متفرقاً في تعاليم الحكماء والمصلحين والقديسيين ممن كانوا قبله، والقرآن حينما يعرض التعاليم الأخلاقية يعرضها عرضاً تبدو فيه الأصالة، والاتفاق، والانسجام، ويبدو هذا واضحاً في طريقة عرضه لدروس المختلفة عن الماضيين، فهو يصوغها في وحدة لا تقبل الانفصام، ويسوقها في إطار متفق على الرغم من اختلافها، وتنتظم نصوص القرآن بمجموعها على هذا الوجه لتبني

(١) راجع: د/ محمد بيصار، العقيدة و الأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، ص ٢٢٦.

منهجاً كاملاً للحياة العملية، وتبين ما ينبغي على الإنسان أن يسلكه مع نفسه، ومع أسرته ومع الآخرين، والمبادئ التي يجب أن تحكم العلاقات بين الحاكمين والمحكومين، وبين الدول والمجتمعات وما يجب أن يسلكه مع خالقه وكل ذلك بطريقة واضحة.

فالقرآن الكريم قد رسم لكل مجال من مجالات الحياة خط سلوكه، وبذلك فقد تحدث القرآن الكريم عن الجانب النظري والعملي، وليست الأخلاق النظرية التي تحدث عنها القرآن منفصلة عن الأخلاق العملية، فالمبادئ النظرية التي تحدث عنها القرآن لا بد وأن يتبعها سلوك عملي، يطبق هذه المبادئ وذلك حتى تسمى أخلاقاً، و الأخلاق الإسلامية فيها الجانب العملي والنظري متكاملان متداخلان.

فالنظرية لا بد أن تكون عملية حتى يتأتى فائدة من المبادئ النظرية، والمبادئ العملية تعتمد على المبادئ النظرية التي تحدد المثل العليا والقيم الأخلاقية، والإسلام عقيدة وعمل يوحد بين العقيدة الباطنة والسلوك الخارجي ويجعلهما وحدة لا تتجزأ ولا تقبل الانفصام [1].

وعلى ذلك فالأخلاق الإسلامية أخلاق متكاملة، فهي القواعد المنظمة للسلوك الإنساني في الحياة سواء كان هذا السلوك ظاهراً أو

(١) راجع : د/ محمد عبد الله درار، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة دار الرسالة، دار البحوث العلمية بيروت، ط ٣ ، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٩، ١١، ١٣، ١٧.

باطناً يصدر من الإنسان بإرادة، ويهدف إلى تحقيق غاية، وهي بذلك تعتبر جوهر الدين الذي يشمل الاعتقاد والسلوك، فهي إذاً أخلاق متكاملة شاملة لمبدأ التدرج والتناسق التكاملي الشامل ولا فرق فيها بين نظرية وعملية [1] ولذلك اعتنى الإسلام بالأخلاق وربطها بالعقيدة والشريعة، والسلوك لأنها هي الجانب العملي التطبيقي للمسلم.

(١) راجع: سامي عفيفي، العلاقة بين العقيدة والأخلاق في الإسلام ، ص ١٣٢.

ثانياً: موضوع علم الأخلاق

موضوع أي علم ما، هو "المسائل والظواهر التي يختص بالبحث فيها ودراستها، ومعرفة عوارضه الذاتية"، فموضوع التاريخ هو الإنسان من حيث علاقته بالزمان، وموضوع الجغرافيا هو الإنسان من حيث علاقته بالمكان، وموضوع النحو هو الكلمات العربية من حيث الإعراب والبناء، وموضوع الطب هو بدون الإنسان، والعلوم تتمايز بموضوعاتها كما تتمايز بتعريفاتها غير أن التمايز بالموضوع تمايز بالذات، أما التمايز بالتعريف فهو تمايز من حيث المفهوم[1].

وعلى هذا فما هو موضوع علم الأخلاق؟

ليس من السهل تحديد موضوع علم الأخلاق لأن العلماء قد اختلفت آراؤهم، وكان لتغير الزمان والبيئة أثرهما الواضح في تباين آراؤهم ، ولكننا بصورة عامة نقول إن علم الأخلاق هو الذي يتناول دراسة أفعال الناس بالقياس إلى مثل أعلى، حتى يتسنى له وضع قواعد عامة لسلوكهم، وتصرفاتهم تعينهم على فعل الخير وتجنب الشر، معنى هذا أن هذا العلم يتصل موضوعه أولاً: بأفعال الناس ولا شيء آخر [2].

(١) د/ محمود محمد مزروعة، دراسات في علم الأخلاق ، مكتب الرياض للطباعة الأميرية، مدينة الرياض ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠، ص ١٤.

(٢) د/ عزت زكي، الأخلاقيات في محيطة الفكر والديانات، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، ١٩٧٤م، ص ١٤٠.

فموضوع علم الأخلاق هو السلوك البشري والأعمال التي يقوم بها الناس، بها يصدر حكمه عليها بأنها أعمال خيرة أو شريرة [1].

ولهذا قيل: إن علم الأخلاق هو العلم الذي يدرس السلوك البشري ويحكم عليه بالحسن أو القبح، بمعنى أدق يدرس الأعمال التي يقوم بها الإنسان بعد تفكير في نتائجها بإرادته واختياره ويضع المعايير والمستويات الأخلاقية اللازمة التي ينبغي أن تتوفر في السلوك البشري لكي نحكم عليه في النهاية بأنه أخلاقي أو غير أخلاقي.

وعلم الأخلاق يدرس القيم التي هي الحق والخير والجمال، وبمعنى أدق يدرس الخير في صوره المتعددة والمتنوعة - لأنه يهدف إلى فهم طبيعة الحياة [2]، ولهذا يطلق عليه في الفلسفة الحديث مبحث القيم - لأنه يهتم بتقييم السلوك، وتقييم السلوك معناه البحث في قيمته بالقياس إلى غاية علياً أو معيار كلي أو قواعد عامة.

وعلم الأخلاق لا يبحث فيما هو كائن، بل يبحث فيما ينبغي أن تكون عليه الفضيلة أو السلوك الصالح [3]، فهو لا يدرس الوقائع كما هي، ولا يقررها إذ ليس من شأنه تقرير العلاقات بين هذه الوقائع، بل

(١) د/ علي معبد، في الأخلاق الإسلامية والإنسانية، دار الطباعة المحمدية، ط ٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٧.

(٢) فيصل بدير، دراسات في الفلسفة الخلقية.

(٣) د/ عزت زكي، الأخلاقيات في محيط الفكر والديانات، ص ١٥.

يدرس معيار الخير والشر في السلوك البشري.

وهذا المعيار الذي يسعى إليه علم الأخلاق لا ينبغي أن يكون خاصاً، بل عاماً، وهو وإن اختلف في طبيعته إلا أنه موجود في ضمير كل فرد يناجي الناس جميعاً بلهجة واحدة، وإن كانت أفئدتهم لا تصغى إليه على السواء، ومن هنا يجب ألا يكون قاعدة للفرد فحسب، بل ينبغي أن يكون مبدءاً للجماعة ولهذا قيل لولا الاتحاد الأخلاقي لكانت الجمعية البشرية محالاً [1].

وإذا كان علم الأخلاق يبحث في السلوك البشري وأعمال الإنسان فهل تخضع كل الأعمال التي تصدر عن الإنسان للحكم الخلقي؟

وهذا التساؤل يضطرنا إلى أن نتحدث بالتفصيل عن أنواع الأعمال التي تصدر عن الإنسان لنقرر أيها يخضع للحكم الخلقي، وأيها لا يخضع.

والأعمال التي تصدر عن الإنسان يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام كما يلي:

(١) راجع في ذلك، د/ فيصل بدير، دراسات في الفلسفة الخلقية، نقلاً عن د/ حسن جبر الأخلاق النظرية والعملية في الإسلام، ص ٣٣، ٣٤.

القسم الأول: الأعمال الإرادية:

وهي الأعمال التي تصدر عن الإنسان بعد تفكير وتدبر لنتائجها المرتقبة، وتكوين إرادة لعملها، كمن أراد الزواج مثلاً فإنه لا يقدم على ذلك الأمر إلا بعد أن تتكون لديه الإرادة والرغبة التي تمكنه من إخراج هذا الأمر من حيز الفكر إلى حيز العمل الفعلي[1]، وكقيام طبيب بعملية جراحية ، وكالسارق الذي تسول له نفسه ارتكاب جريمة السرقة ، فإنه يفكر في الجريمة وفي طريقة تنفيذها، وهو يعلم عاقبتها وما يترتب عليها شرعاً وقانوناً [2]، وهكذا كل عمل يصدر عن الإنسان بعد فكر وروية، وقصد منه ويخضع لإرادته واختياره.

القسم الثاني: الأعمال غير الإرادية:

وهي الأعمال التي لا يفكر فيها الإنسان ، وليس له أية إرادة في حدوثها، ولا يتدبر في نتائجها، ولا يمكن أن يتحكم في هذه النتائج [3]، وذلك مثل نبضات القلب، وحركة الأمعاء، وامتناع الوجه أو اصفراره عند الخوف أو الخجل، وكعمل المعدة في هضم الطعام، وانقباض الساق عند وخزها بإبرة، وكفعل المكره والنائم والمجنون، والحيوان والنبات،

(١) د/ علي معبد، في الأخلاق الإسلامية والإنسانية ، ص٨.

(٢) د/ حسن جبر، الأخلاق النظرية والعملية في الإسلام ، ص٣٤.

(٣) د/ علي معبد، في الأخلاق الإسلامية و الإنسانية ص٨.

فكل هذه الأفعال تخرج عن موضوع علم الأخلاق ، لأنه لا يجوز أن يحكم عليها بالخيرية أو الشرية، فلا يجوز أن نقول على سبيل المثال إن فلاناً من الناس خير لأنه قلبه ينبض نبضاً منتظماً، أو لأن معدته تهضم الطعام جيداً، كما لا يجوز أن نقول إن فلاناً شريراً لأنه قلبه ينبض نبضاً ضعيفاً، أو لأن معدته سيئة الهضم، ذلك لأنه لا دخل لإرادة الإنسان في ذلك كله [1].

القسم الثالث: وهو خواطر القلب:

إذا كانت قوية تحمل الإنسان على مباشرة أسبابها، كمن صمم على الخروج مع المقاتلين للجهاد في سبيل الله تعالى، ففاجأه المرض فحبسه، فإن خاطره قوي وأكيد من حيث تصميمه عليه، ولكن مرضه المفاجئ منعه [2]، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن أقواماً خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا هم معنا حبسهم العذر"[3].

القسم الرابع: الأعمال شبه الإرادية:

وهي أعمال إرادية المقدمات، اضطرارية النتائج، أي أننا إذا نظرنا

(١) د/ محمود مزروعة، دراسات في علم الأخلاق، ص ١٥.

(٢) د/ حسن جبر ، الأخلاق النظرية والعملية في الإسلام ، ص ٣٥.

(٣) رواه البخاري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

إليها من زاوية حسبناها أعمالاً إرادية، وإذا نظرنا إليها من زاوية أخرى وجدناها غير إرادية، ومن ذلك ما نشرته الصحف عن حفرة في الطريق وقع فيها طفل لم يمكن إنقاذه، فترتب على ذلك محاكمة المقاول الذي حفرها، أو المشتركين معه.

فالصورة الأولى: إن المقاول ليس بينه وبين الطفل نزاع و لم يلق به فيها،و لم يكن حاضراً وقت وقوع الطفل بها، وإنما الطفل وقع أثناء لعبه، فلا يمكن بالتالي محاسبة الرجل، ولا اتهام عمله بأنه غير أخلاقي حيث إن عنصر الإرادة غير متوفر.

ولكن **الصورة الثانية:** تظهر أن المقاول مشترك بإهماله وعدم اتخاذ الحيطة في قتل الطفل، وهنا يظهر مما يشبه الإرادة وهو محاسب عليها.

ومثل هذا من نام قريباً من شباك وهو يعلم من نفسه كثرة الحركة عند نومه، أو أن بالمكان فأراً وترك مشعل النار قريباً منه، فوقع الشخص النائم من الشباك، أو أوقع النار، فإنه محاسب على إهماله لما ترتب عليه من الضرر[1]، فعلم الأخلاق لا يقل ذلك العذر فيعفي صاحبه من المسئولية الأخلاقية، بل يبحث عنها، ويلقي على صاحبها

(١) د/ محمد ضياء الدين الكردي، الأخلاق الإسلامية والصوفية، مطبعة السعادة بدون رقم للطبعة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م ، ص ٧.

مسئولة خلقية، لأنها وإن صدرت من غير إرادة وتفكير منه، إلا أنه كان يمكنه أن يحتاط لها، وتظهر نتائجها وقت الانتباه والاختيار [1].

وبذلك يخرج عن موضوع علم الأخلاق نوعان من الأعمال هي:

١- أعمال غير الإنسان مما يصدر عن الطبيعة أو الحيوان.

٢- أعمال الإنسان غير الإرادية [2].

ونخلص من هذا: إلى أن موضوع علم الأخلاق هو الأعمال التي تصدر عن الإنسان عن عمد واختيار، والأعمال شبه الإرادية التي تصدر عن الإنسان بدون إرادة، ولكن يمكن الاحتياط لها، وخواطر القلب إذا كانت قوية تحمل الإنسان على مباشرة أسبابها، أما ما يصدر عن الإنسان بغير إرادة وشعور ولا يمكن الاحتياط لها وأعمال غير الإنسان مما يصدر عن الطبيعة والحيوانات، بل يخرج عن موضوع علم الأخلاق.

ثالثاً: فائدة علم الأخلاق:

أولاً: إن دراسة علم الأخلاق تفيد الفاضل وغير الفاضل، وتفيد الخير والشرير، فالنسبة لغير الفاضل والشرير، فعلم الأخلاق يدله على طريق الفضيلة، ويعرفه بطريقه الخير، وأما بالنسبة للفاضل الخير، فدراسة هذا العلم تزيده معرفة بالفضيلة وعشقاً للخير، فقد يوجد المرء نجاراً أو

(١) د/ حسن جبر، الأخلاق النظرية والعملية في الإسلام، ص ٣٥.

(٢) د/ محمود مزروعة، دراسات في علم الأخلاق ص١٧.

حداداً أو بناءًا دون أن يدرس هذه الصناعات في كتاب: ولكن مما لا شك فيه أنه لو درسها لأصبح أقدر عليها وأتقن من ذي قبل [1].

ثانياً: من أهم مقاصد علم الأخلاق توجيه إرادتنا إلى تحصيل الخيرات، وممارسة الفضائل، والتحذير من ارتكاب الشرور، والوقوع في هاوية الرذائل، سعياً وراء تحقيق المثل الأعلى لحياتنا، والكمال الإنساني لذواتنا، فعندما نأتمر بأوامره، ونتته بنواهيه، يكون له الأثر البالغ في تغيير أخلاقنا بإمكاننا التحول من الشر إلى الخير، ومن الرذيلة إلى الفضيلة، وهذه الأوامر والنواهي يكون مصدرها إما الشرائع السماوية الصحيحة، وما جاءت به من مبادئ أخلاقية قويمة، وإما الضمير الإنساني الواعي اليقظ: وما ينبع عنه من قوانين السلوك ومقاييس الخير والشر[2].

ثالثاً: إن دراسة علم الأخلاق تعرفنا بكل المقاييس التي نقيس بها الأعمال سواء كانت المقاييس من داخل الإنسان مثل العقل والضمير، أو خارجة عنه مثل العرف والعادة، والقوانين الوضعية أو السعادة أو المعيار الديني [3].

---

(١) د/ محمود مزروعة، دراسات في علم الأخلاق ص١٢.

(٢) د/ محمد بيصار، العقيدة و الأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، دار الكتاب اللبناني، ط٤، ١٩٧٣م، ص ٢٣٤.

(٣) أ.د/ حسن جبر شقير، الأخلاق النظرية والعملية في الإسلام ، ص ٤٢.

فالجاهل قد تصدر عنه الفضيلة مرة واحدة ولكنه لا يعرفها ولا يعرف مقاييسها، ولا يعرف متى تتم، وأما العالم بدراسة هذا العلم فإنه يعرف الفضيلة بكل أبعادها ومتطلباتها ومن هنا يستطيع الموازنة بين الأمور التي يختار خيرها، ونضرب بهذا مثلاً برجلين من بيت واحد تعلم أحدهما، وبقي الآخر على ما هو بدون تعليم، فلا شك أننا سنجد فرقاً واضحاً بين أخلاق المتعلم وغير المتعلم، على الرغم من أن نشأتهما الأولى واحدة من ناحية عنصر الوراثة والبيئة الأولى، وهذا يرجع إلى التعليم الذي هذب أخلاقه قال تعالى:

{قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}[1].

بل إن مطلق العلم، لا علم الأخلاق وحده يفيد الناس في أخلاقهم ويغير من طبائعهم، فما بالنا بدارس العلم [2].

رابعاً: إنه يمحص لنا النظريات القديمة والحديثة المتعلقة بسلوك الإنسان، لاختيار الصالح منها لسعادة المجتمع، لأن ما يصلح لزمان قد لا يصلح لسواه، وما يمتدح في بيئة قد يذم في غيرها، ومن ذلك نرى أن الإسلام قد ذم مذاهب المنفعة، واللذة، والسعادة، لأنها توصل إلى الخير في الدنيا فقط، وحث على العلم الذي يوصل إلى الخير والسعادة في

(١) الزمر: ٣٩.

(٢) أ.د/ محمد ضياء الدين الكردي، الأخلاق الإسلامية الصوفية، ص ٩، ١٠.

الدنيا والآخرة معاً.

خامساً: إنه يشرح الغاية المثلى التي يجب أن يكون عليها الإنسان، والتي ينبغي أن يقصدها الناس جميعاً في أعمالهم، وفي تعاملهم مع غيرهم بحيث يصدق عليهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[1].

وفي هذا يقول أرسطو: "الفضيلة لا يكفي أن نعلم ما هي، بل زيادة على ذلك رياضته على حيازتها واستعمالها أو إيجاد وسيلة أخرى تصيرنا فضلاء وأخياراً، ولو كانت الكتب قادرة وحدها على أن تجعلنا أخياراً لاستحقت أن يطلبها كل الناس، وأن تشتري بأعلى الأثمان، ولكن لسوء الحظ لا تستطيع المبادئ في هذا الصدد أن تشد عزم بعض فتيان كرام على الثبات في الخير، وتجعل القلب الشريف بالفطرة صديقاً للفضيلة وفياً بعدها"[2].

ولكن بقي بعد ذلك أن نسأل سؤالاً هل في استطاعة علم الأخلاق أن يجعل الناس أخياراً وفضلاء؟

والجواب عن ذلك، أن هذا العلم لن يؤتي ثمرته ولن يكون في استطاعته أن يجعل الناس أخياراً، إلا إذا توفر عاملان هما:

---

(١) متفق عليه.

(٢) راجع: د/ حسن جبر شقير، الأخلاق النظرية والعملية، ص ٤٣. د/ علي معبد فرغلي، في الأخلاق الإسلامية والإنسانية، ص١٣.

١- أن يكون استعداد المرء طيباً، وأن يكون ميالاً بطبعه إلى الخير والصلاح حتى يتقبل ما يوصي به علم الأخلاق.

٢- أن يتبع المرء ما يوصي علم الأخلاق من الحض على الفضائل والبعد عن الرذائل، فلكي يصبح المرء على خلق، لا بد أن يطبق علمه على عمله، وأن يحول هذه المسائل النظرية إلى واقع عملي تطبيقي، فإذا لم يحدث هذا ، ووقف المرء عند العلم النظري و لم ينتفع به في حياته العلمية، فليس ذلك عيباً في علم الأخلاق، وإنما هو تقصير من الإنسان، فعلم الأخلاق أشبه ما يكون بعلم الطب، ويعرف المريض بحالته الصحية، ويبين له عن علته، ويشرح له طريق الوقاية من الداء، ويصف له الدواء، ثم يكون مرجع الأمر كله إلى المريض، إن اتبع إرشاد الطبيب وعمل بنصائحه، وإن شاء اتبع إرشادات الطبيب وعمل بنصائحه، وإن شاء لم يفعل، وليس في استطاعة الطبيب ولا الأطباء أن يجبروه على اتباع إرشاداتهم ونصائحهم.

ومثل ذلك علم الأخلاق ، يعرفنا بالفضائل، ويدلنا على طريق الفضيلة وليس في استطاعته بعد أن يجعلنا فضلاء صالحين، ما لم يكن عندنا استعداداً وإرادة، لأن نأتمر بأوامره وننتهي بنواهيه [1].

(١) راجع: د/ علي معبد، في الأخلاق الإسلامية و الإنسانية ، ص ١٢.
د/ حسن جبر، الأخلاق النظرية والعملية، ص ٤٤.
د/ محمود مزروعة، دراسات في علم الأخلاق ، ص ١٢.

رابعاً: علم الأخلاق وصلته ببعض العلوم الإنسانية

أولاً: العلاقة بين علم الأخلاق وعلم النفس:

إن علم النفس يبحث في عواطف الإنسان، وشعوره، وعاداته، وقوى الإحساس، والإدراك، والحافظة، والذاكرة، وفي الإرادة، والخيال، والوهم، واللذة والألم.

ومعنى هذا أن علم النفس يبحث السلوك البشري كما هو كائن بالفعل دون النظر إلى توجيه نحو الكمال والارتقاء.

أما علم الأخلاق فإنه يبحث في السلوك البشري من ناحية تقويمه فيقول إن هذا السلوك أخلاقي أو غير أخلاقي، أي يبحث فيما ينبغي أن يكون عليه السلوك، لا من جهة ما هو كائن كما هو الحال في علم النفس.

غير أنه افتراق علم الأخلاق عن علم النفس من هذه الوجهة، فإن علم الأخلاق أشد ما يكون احتياجاً إلى علم النفس لأن علم النفس يقدم الأمراض والأحوال والعلل المتعلقة بالنفس كما هي، فهو بهذا يشخص المرض وهو أمر ضروري لعلم الأخلاق، فبدون تشخيص المرض لا يمكن وصف الدواء فعلم النفس مقدمة لتهذيب الأخلاق

وعلاجها، ولذلك يقرر أرسطو - في كتابه "الأخلاق" - أن علم النفس، هو دليل علم الأخلاق بما يقدمه من تحليل [1].

(١) راجع: د/ محمد ضياء الدين الكردي، الأخلاق الإسلامية والصوفية، د/ عبد الرحمن بدوي، الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، الكويت ط٢ ، ١٩٧٦م، ص ٣٣- ٤٠. د/ حسن جبر شقير، الأخلاق والعملية في الإسلام ص ٤٦.

ثانياً: العلاقة بين علم الأخلاق والفلسفة:

ليس هناك شك في أن أول ظهور للفلسفة كان في بلاد اليونان، ففي العصر القديم لا نجد فلسفة بمعنى الكلمة إلا لدى اليونان، فعندهم نبتت ونمت تكوينها فيما بين القرن السادس والقرن الرابع قبل المسيح عليه السلام، واستمر بينهم إلى أن تقلدها منهم الغرب المسيحي والشرق الإسلامي واليهودي.

وليس معنى هذا أن الشعوب الشرقية القديمة لم تعرف المسائل الفلسفية الكبرى، كلا فإنها عرفتها وأعملت فيها عقولها قبل أن يتفلسف اليونان، ولكنها لم تعالجها بالحد والبرهان كما فعل هؤلاء؛ بل أرسلت القول فيها على نحو ما يرسل الشعراء، واستخدمت الشيء الكثير من الخيال، فضاعت آراءها في قصص وأساطير، وجاءت هذه الآراء أقل نضوجاً وإحكاماً من آراء اليونان، وهي فوق ذلك لم تنظر في المسائل لذاتها كموضوعات علم مستقل مرتبط الأجزاء، بل اعتبرتها مسائل دينية وعالجتها اللازم للدين [1].

ونخلص من ذلك إلى أن أول ظهور للفلسفة كان في بلاد اليونان وكانت تعني جميع العلوم الإنسانية ، من طب، وطبيعة، وأخلاق، وإلهيات إلى غير ذلك من أنواع العلوم المختلفة.

(١) د/ إبراهيم مدكور، أ/ يوسف كرم، دروس في تاريخ الفلسفة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ص ١٩٥٣.

فالفيلسوف هو من ألم بجميع المعارف البشرية، غير أن هذا الأمر قد اختلف الآن عن سابقه، فاتسعت دائرة العلوم في بحثها، وانفصلت تبعاً لاتساعها عن الفلسفة، فأصبح لعلم الطبيعة علماء، وللطب علماء، وجاء أخيراً علم النفس فانفصل عن الفلسفة، وبقي للفلسفة مجالها للباحث في الله ، وفي القيم وفي العقل، أي بقي للفلسفة البحث في الإلهيات، وفي الإنسان من حيث المنطلق والأخلاق، والوجود، والمعرفة، والجمال، وبهذا يكون علم الأخلاق جزءاً من أجزاء الفلسفة المتجهة على دراسة الإنسان [1]، ولذا يطلق عليه في الفلسفة الحديثة لقب "مبحث القيم" لأنه يهتم بتقييم السلوك [2].

(١) د/ محمد ضياء الدين الكردي، الأخلاق الإسلامية والصوفية، ص ١٢، ١٣.

(٢) د/ عزت زكي، الأخلاقيات في محيط الفكر والديانات ص ١٥.

ثالثاً: العلاقة بين علم الأخلاق وعلم الاجتماع:

توجد علاقة وثيقة بين العلمين، فعلم الاجتماع يبحث في الجماعات الأولى من الناس، وكيف ارتقت وتقدمت، ويبحث في اللغة والدين والأسرة، وكيف يكون القانون؟ وكيف تألفت الحكومة؟ ونحو ذلك. ودراسة هذه الأشياء ضرورية ومهمة في علم الأخلاق ، لأنها تعين على فهم أعمال الناس، والحكم بالخير أو الشر وبالصواب أو الخطأ [1].

إلا أن الفرق بينهما، أن علم الاجتماع علم تقريري يدرس السلوك كما هو كائن بالفعل، أما علم الأخلاق فإنه يدرس ما ينبغي أن يكون عليه السلوك [2]، ويصدر عليه بالخير أو الشر.

(١) راجع في ذلك، العلاقة بين السياسة والأخلاق في مقدمة كتاب أرسطو، للأستاذ/ سانتهلير، ترجمة الأستاذ/ لطفي السيد، ص ٧٦- ٧٨، الأخلاق أحمد أمين، طبعة دار الكتب، بدون تاريخ، ص ٩.

(٢) / عزت زكي، الاخلاقيات في محيط الفكر والديانات، ص ١٥.

رابعاً: العلاقة بين علم الأخلاق وعلم المنطق:

إن كلا من علم الأخلاق وعلم المنطق له صلة وثيقة بالآخر، فكل منهما يبحث في قوى النفس، لكن لكل واحد ناحية معينة، فعلم المنطق يبحث في التفكير، وعلم الأخلاق يبحث في الأعمال الإرادية وما يصدر عنها [1]، كما أن كلاً منهما مقوم للإنسان يضع له المقاييس التي يقيس بها أعماله، ويكون مقدار الصدق في الأعمال قائماً على مدى الالتزام بالمقياس عند التطبيق، إلا أن علم المنطق خاص بالعقل وصحة التفكير، وعلم الأخلاق خاص بالإرادة وتقويم السلوك [2].

(١) / حسن جبر، الأخلاق النظرية والعملية في الإسلام ، ص ٤٧.

(٢) د/ حمد ضياء الدين، الأخلاق الإسلامية والصوفية ، ص ٤٤.

خامساً: العلاقة بين علم الأخلاق والدين:

إن كلمتي الدين والخلق من الكلمات التوائم، التي من أسرة واحدة مثل "الرأفة والرحمة" و"البر والتقوى" والإيمان والإسلام وغير لك، وهذه الكلمات "التوائم" كلما اجتمعت في العبارة افترقت في المعنى بقدر الإمكان، فإذا قلنا: "فلان ذو خلق ودين" وجب لكي تخلو العبارة من عيب التكرار واللغو أن تؤدي كل الكلمتين معنًا مستقلاً منعزلاً عن الآخر انعزالاً كليا، بحيث يختص الدين بالجانب الإلهي، والخلق بالجانب الإنساني فيكون معنى الدين: الإيمان أو التقوى الخاصة، أعني القيام بفرائض العبادة ، ويكون معنى الخلق، التحلي بالفضائل والآداب الاجتماعية.

أما إذا اكتفينا بقولنا: "فلان ذو دين" وكان المفروض أن الدين الذي نسير إليه من الأديان الخلقية المعروفة، فإن كلمة الدين هنا تتسع لمعنى أختها المطلوبة أيضاً، وحينئذ يراد منها التقوى الشاملة الكاملة، أعني القيام بالفروض الإلهية والإنسانية معاً.

وكذلك إذا اكتفينا بقولنا "فلان ذو خلق" وكان مفهوماً أن الأخلاق المتواضع عليها جامعة للحقوق الإلهية والإنسانية ولا تفوتنا هنا الإشارة إلى أنه حتى في هذه الحالة التي تأخذ فيها كلمة الخلق أوسع معانيها لا تصبح مرادفة تماماً لكلمة "الدين" لأن كلمة دين لا تزال تمتاز

بعنصر نظري جوهري، لا يمكن سقوطه ولو ذهب غيره من الأجزاء، ذلك عنصر المعرفة بالإله والإيمان به، وهو عنصر لا يدخل في طبيعة مفهوم الأخلاق لأنها دائماً ذات طابع عملي، وما اعتمادها إن اعتمدت على وازع الدين والإيمان إلا اعتماد على دعامة ووسيلة، لا على جزء متمم لحقيقتها، وفي وسعها أن تستغنى عن هذه الدعامة بباعث الوجدان أو غيره [1].

(١) راجع في ذلك، د/ محمد عبد الله دراز، الدين دار العلم، الكويت، بدون رقم للطبعة ١٩٨٠م ص ٥٨، ٥٩.

د/ حسن جبر، الأخلاق النظرية والعملية في الإسلام ، ص ٤٨، ٤٩.

خامساً: الجانب الأخلاقي في الديانات والمذاهب القديمة:

أ- الديانة المصرية القديمة:

لعل أروع ما في العقيدة المصرية القديمة اعتقادهم بالحياة الآخرة، وأنها الباقية بعد الدنيا الفانية، فقد اعتقد المصريين القدماء أنه لا بد من حياة أخرى فيها النعيم المقيم للأخبار، والعذاب الأليم للأشرار، ثم إنه قبل أن يصل الميت إلى الثواب والعقاب لا بد من الحساب، والحساب يكون أمام محكمة تتألف من اثنين وأربعين قاضياً يرأسها أوزويريس نفسه، وتسأل المحكمة الشخص عما قدم من خير، وما قدم من شر.

وقد خاض المؤرخون في بيان الفضائل التي كانت فضائل - في نظر المصريين - في هذا المقام، وقوام هذه الفضائل سلبي، دعامته عدم إلحاق الأذى والضرر بغيره من الناس، وإيجابي دعامته نفع الناس وإطعام القانع والمعتر، وإذا انتهى الحساب أمر المحاسب أن يمر على الصراط، وهو طريق ممدود فوق الجحيم، فإذا اجتازه الشخص نجا وارتقى على مرتبة الإلهية، وإذا سقط فوقه انتهى إلى واد فيه الأفاعي والحيات التي تتولى عقابه بقسوة، حتى ينال الجزاء الأوفى على ما قدمت يداه.

كما أن كتاب الموتى لدى قدماء المصريين يشتمل على الكثير من الآداب والفضائل، وعلى ما تلقه الروح لتحسين الإجابة أمام محكمة الحساب التي تتكون من الاثنين والأربعين قاضياً، وهذا بعض ما يقوله

الميت أمام هذه المحكمة في اليوم الآخر، يا سادة الحقيقة، إنني حامل الحقيقة، إنني لم أخن أحداً، ولم أغدر بأحد، ولم أجعل أحداً من ذوي قرابتي في ضنك، ولم أمازج عملي بشر قط، وجافيت الضر والأذى، ولم أكن سبباً في خوف خائف، ولا إعواز معوز، ولا ألم متألم، ولا بؤس بائس، ولم أقدم على ما لا يليق بالآلهة فلم أجمع أحداً، ولم أبك أحدا، ولم أقتل نفساً وما حرضت أحداً على قتل أو خيانة ولم أكذب، ولم أسلب المعابد ذخائرها، ولا المومياء طعامها، ولم أرتكب أمراً لا يليق مع كاهن في كهنوته، ولم أغل في الأسعار، ولم أطفف الكيل والميزان، ولم أسرق الماشية من مرعاها، ولم أصد طير الآلهة ، ولم أدفع الماء في عهد الفيضانات، ولم أحول مجرى ترعة، ولم أطفئ الشعلة في ساعتها، ولم أخدع الآلهة في قرابينها المختارة، فأنا نقي، أنا نقي، أنا نقي".

وجاء في الكتاب أيضاً ما تقوله المحكمة عن الميت الذي تزكيه أعماله، "ليس فيه شر ولا خطيئة ولا فساد ولا دنس، وليس عليه اتهام، ولا في أعماله ما يثير الاعتراض، فقد عاش من الحق وتغذى بالحق، وإن فعله لتشرح الصدور، وهي مما يطلبه الرجال، ويسر الآلهة، وقد أخلص للآلهة محبته، وأعطى الخبز من كان خاوياً، واللباس من كان عارياً"[1].

(١) الإمام محمد أبو زهرة، مقارنات الأديان، والديانات القديمة دار الفكر العربي سنة ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥، ص ١٦- ٢٠.

وهكذا نجد في "كتاب الموتى" في دفاع الروح عن نفسها أمام القضاة الاثنين والأربعين، ما يعطينا فكرة عن لزوم الأخلاقيات للحياة الأخرى السعيدة مع الآلهة [1].

يقول جوستاف لوبون في التعليق على هذا الكلام "ألا يظن من يقرأ هذا الكلام أنه يسمع صوت قرون سحيقة تتكلم من قبل بوذا والمسيح معلنة قانونها اللطيف للإحسان والنفع العام"[2].

كما وصلت إلينا العديد من التعاليم الأخلاقية التي وضعها قدماء المصريين كسياج لحماية المجتمع وتنقيته من الرذائل، ولعل أشهر هذه التعاليم ما ورد في بردية "إيزيس papyrusp Orrsse" التي اشتهرت وذاع صيتها على أنها من أقدم الوثائق المكتوبة في العالم، ومما جاء في هذه الوصية قول بتاح حتب لتلميذه في كيفية تعامله مع الآخرين - خاصة من هم أعظم منه - **إذا كنت جالساً للطعام في بيت من هو أعظم منك، فتقبل ما يقدمه إليك منحياً أمامه إلى الأرض، ثبت ناظريك إلى ما هو أمامك، ولا تصدم مضيفك بنظرات ثقيلة، لا تتحدث إليه بأكثر مما يطلب منك، لأنك لا تعرف ما يسره، مما يسوؤه، تحدث حينما يدعوك لذلك وستجد حديثك مسراً له".**

(١) د/ عزت زكي، الأخلاقيات في محيط الفكر والديانات، ص ٥٠.

(٢) الإمام محمد أبو زهرة، مقارنات الأديان، الديانات القديمة ص ٢٠.

وعن آداب السلوك يقول له "لا تبق جالساً في مكانك حينما يكون من هو أكبر منك سناً أو مقاماً، واقفاً على قدميه، بل - مع الضيف - ينبغي أن يكون الإنسان مهذباً رقيقاً".

لا تكن وقحاً مع ضيفك، أنصت إلى ما يقوله عن نفسه، رحب بتحياته التي يتجه بها إليك، وقدم له الطعام".

"حينما يصم الناس آذانهم عنك، لا تضايقهم بكثرة الكلام، من الأفضل لك أن تظل صامتاً وألا تنطق بكلمة واحدة.

كما ينهي "بتاح حب" في وصيته تلميذه عن التعالي على الآخرين، فيقول: "لا تتعالى على سواك بسبب علمك، عامل من لم يتح له حظ التعليم بنفس الطريقة التي تعامل بها المتعلم".

"وإن أصبحت عظيماً بعد صغار، وغنياً بعد افتقار، فلا يتقسى قلبك بسبب ارتفاعك، إنك لم تصبح بذلك إلا متعهداً لتوزيع البركات الإلهية، لا تحتقر إنساناً هو نظيرك".

"إن كنت تريد أن تسلك سلوكاً مهذباً تجنب كل شر، احترس من الشراهة والطمع، إنها مرض مميت يسبب النزاع بين الآباء والأمهات والانقسام بين الأخوة والأخوات".

"لا تسبب بتصرفك نفور الناس وخوفهم منك".

ومن وصايا عاني في آداب السلوك ما يلي:

"احترس كل الاحتراس من أن تجرح الآخرين بكلماتك لا تثر الخوف في صدر أخيك، إنه لن يكون ملجأً لك في المستقبل، انفصل عن عشرة المشاغبين، ولا تكن لهم صاحباً.

"لا ترفع صوتك أمام عظيم، ولكن تعامل معه بطريق اللطف، تحدث برقة حينما يجابهك بوحشية فهذا علاج ناجح يطيب قلبه".

"إن صدر الإنسان - نظير مخزن - تتكدس في كل أنواع الكلمات، انتق البضاعة الطيبة، ودع الرديئة مختزنة في أعماقك، الصوت المرتفع، والعصا المرتفع، تحدث برقة المحبة تحافظ على رباط السلام على الدوام".

ويحذر عاني من الاندفاع وراء النساء الأجنبيات فيقول:

"حصن قلبك ضد المرأة الأجنبية التي لا تعرفها المدينة، لا تقترب منها، شأنها شأن نساء سائر جنسها ولا تتعامل معها، إنها نهر عميق مجراه الملتوي لا تعرف نهايته، إن المرأة التي يكون زوجها غائباً في مكان بعيد ، تدعوك إليها، وتلح كل يوم، فإن لم يكن هناك شاهد، فهي تسعى لتوقع بك، ويا لها من جريمة تستوجب الموت، إن انسقت وراءها، إن الإنسان يرتكب كافة الجرائم إثر هذه الجريمة".

ويقول "بتاح حتب":

"إن كنت حكيماً فإنك تسعى لتثبيت بيتك بمحبة زوجتك، املأ بطنها بالطعام، واكس ظهرا بالثياب، فهذا ما يلزم لجسدها، دلكها بالطيب واشرح صدرها بالبهجة، طيلة أيام وجودك على الأرض، إنها حقل مثمر للزراعة.. فهذا يجعلها تستقر في بيتك".

ويتحدث عاني في وصيته لابنه عن الصلات العائلية بين الأبناء والآباء، وبخاصة الأمهات، فيقول: "لقد أعطيتك أنا لأمك، ولكنها هي التي حملتك، إنها هي التي تحملت عبئك وأراحتني أنا منه، ثم ولدتك بعد شهور الحمل الطويل، وعلى صدرها حملتك ثلاث سنين وضعت ثديها بين شفتيك، وحين ذهبت إلى المدرسة لتتعلم الكتابة كانت تخدم مدرسك وتجلب له الخبز والخمر من المنزل، وها أنت قد كبرت وأصبحت لك زوجتك، وتأسس لك بيت مستقل، فلا تنسى المتاعب والتضحيات التي تحملتها أمك في سبيل تربيتك، لا تسبب لها، ما يدعوها للشكوى منك، لئلا ترفع يديها إلى الإله فيستجيب الله صلاتها".

ويدين "عاني" شرب الخمر فيقول: "لا تذهب لبيت الخمر، فإن سقطت وأنت ثمل وكسرت ساقك، فمن يقدم لك المعونة؟ إن خلانك سوف يستمرون في سكرهم، ويهزأون قائلين، قم واذهب لبيتك أيها السكير، وإذا وفد عليك إنسان ليبحث شئون العمل، فسوف يجدك

تزحف على الأرض كطفل رضيع".

ويقول "أمين حب" في أمثاله ووصاياه الأخلاقية":

"بداءة التعليم كيف تحياه، والإرشاد للنفع والخير"

"ليهدي أقدام الإنسان في طريق الحياة".

"وليجعله ناجحاً في الأرض".

"حذر من الاعتداء على ممتلكات الفقير".

"حذار من استعراض عضلاتك أمام مهيض الجناح".

ولمن يهاجمك إخل الطريق

وقبل أن تنطق بكلمة، نم ليلة..

والرجل الثائر اتركه لمؤامرته.

فالله يعرف كيف يجيبه.

الإنسان المسالم شجرة وارقة.

تزداد اخضراراً ويتضاعف جنيها.

وثمرتها حلوة، وظلها ظليل.

لا تنقل تخم صاحبك.

ولا تزحزح عصا القياس.

راقب من يعمل هذا جيداً..

لأنه ظالم الضعيف المسكين..

لان ممتلكاته تنتزع من أبنائه..

ومجهوداته تعطى الآخر..

إن الإنسان يسترضى الله ..

وبقوة الرب آتن..

حينما يرعى الحدود بأمانة..

لذلك احرص على أن تزداد نجاحاً..

حينما تتقي رب الوجود..

خير لك مكيال واحد يهبه الله ..

من خمسة آلاف تنتهبها انتهاباً..

رغيف خبز مع قلب فرح..

خير من خزائن ثروة مع قلق واضطراب..

لا تجهد نفسك لك تزداد..

وعندها تصبح حاجتك مضمونة..

فإن وصلت الغني عن طريق مشبوه..

فهو لن يبقى معك ليلة واحدة..

إنه يأخذ أجنحة الأوزة ويطير..

قارب الحسود يغوص في الوحل..

ومركب القنوع طريقها ميسر..

***

لا تتحدث لإنسان حديث التواء..

فالغش رجس عند الرب..

إن كان لك دين على فقير..

سامحن بالثلثين واكتف بالثلث..

وستجد هذا طريق الحياة..

العدالة هبة عظمى من الله ..

يهبها لمن يشاء..

اخشع في سكون بين يدي الله ..

وسلامك يغطي متاعبك..

بالحقيقة إن الإنسان طين وقش..

والله هو الذي يشكله..

طوبى لذلك الذي وصل إلى الغرب..[1]

حيث يصح آمناً بين يدي الله ..

***

لا تفرغ أعماق نفسك لكل مخلق..

ولا تصاحب من يعرى قلبه [2]..

والمتأمل في هذه الوصايا والأمثال الأخلاقية "لأمين أم حب" يلمس فيها مستوى روحياً وأخلاقياً أكثر مما يبدو في آية كتابات أخرى من وصايا وحكم قدماء المصريين، هذه الوصايا والأمثال تجسم لنا مفاهيم الخلق الفردي والاجتماعي من رحمة، وعدالة وضبط نفس وغير ذلك، ليس في قيمتها النفعية فحسب، بل في مطابقتها للإرادة الإلهية، والصيغة الدينية التي تصطبغ بها [3].

كما أننا نصادف على النقوش الفرعونية القديمة صور الميزان الذي يمثل العدل، والجديد في الموضوع أيضاً الميزان في هذه النقوش، إما أنه اتخذ وسيلة يعبر بها الناس عن رغبتهم في أن تسود العدالة التي كان كثير

(١) يبدو أن الغرب مكان غروب الشمس أو الإله وكان يختلط في أذهان قدماء المصريين أنه مسكن الآلهة، وفي هذا إشارة إلى انتقال الإنسان إلى العالم الآخر، وما زلنا حتى يومنا الحاضر نقول غربت شمس فلان أن انتقل من هذا الوجود إلى الآخرة.

(٢) د/ عزت زكي، الأخلاقيات في محيط الفكر والديانات، ص ٤٢، ٤٩ بتصرف.

(٣) نفس المصدر، ص ٤٦.

من الناس يفتقدونها، وإما أن هذا الميزان كان شعاراً ترفعه السلطة الحاكمة كرمز لحكمها التزيه العادل.

وعلى كلا الأمرين فإن الهدف من الميزان هو إقامة العدل ونشر العدالة في الدنيا [1]، ويتضح هذا من خطبة الفلاح المصري أمام الحاكم "رتزي" حيث يقول: "اقض على الظلم، وأقم العدل، وقدم كل ما هو خير، وامح كل ما هو سيء حتى تكون كالشبح الذي يقضي على الجوع، أو كاللباس الذي يخفي العري، أو كالسماء الصافية بعد سكون الجوع، أو كاللبس الذي يخفي العري، أو كالسماء الصافية بعد سكون العاصفة الشديدة، أو كالنار التي تطهو الطعام [2].

ونخلص من هذا إلى أنه مهما تكن في الديانة المصرية القديمة من أوهام وعقائد فاسدة لا تستمد من المنطق قوتها، فإن الآداب التي اشتملت عليها والفضائل التي تدعو إليها خصوصاً الجانب السلبي منها كان معيناً خصباً، اقتبست منه الديانات غير المنزلة، وحكمة الحكماء شيئاً كثيراً [3].

(١) د/ حسن جبر، الأخلاق النظرية والعملية، ص ٦٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٩.

(٣) الإمام محمد أبو زهرة، مقارنة الأديان ، الديانات القديمة، ص ٢٠.

ب: البرهمية

إن أغلى ما يطمع فيه البرهمي هو الانطلاق والاندماج في برهما كما تقرر أسفارهم، إذا تقرر العقيدة البرهمية أن روح كل كائن تعود في نهاية مطافها إلى مصدرها الأول الذي نشأت منه وهو الله، والإنسان أحد هذه الكائنات، فيعرض لها، وروحه قطرة من نور الله، انفصلت عن الله إلى أجل محدود، واتصلت به، ثم تتصل بعده بكائن آخر وهكذا على طريق التناسخ وتجوال الروح، ثم تعود في النهاية إلى الله متى جاء الأجل، كالقطرة من الماء العذب تصعد بخاراً وترقى في السماء، وتنتقل من جهة إلى جهة، وقد تتحول إلى قطع من الثلج أو البرد أو غير ذلك، ثم تسقط على قمم الجبال، وتجري في الأنهار، ثم ترجع في نهاية مطافها إلى البحر الذي انفصلت عنه في أول الأمر [1].

وفي فلسفة الهند الأخلاقية المسماة "ويدانت" وردت العبارة التالية: "هذا الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي الأساسي، إن الشمس والقمر وجميع جهات العالم أرواح الموجودات أجزاء ومظاهر الوجود المحيط المطلق ، وإن الحياة كلها أشكال لتلك القوة الوحيدة الأصلية، وإن الجبال والبحار والأنهار، تفجر من ذلك الروح المحيط الذي يستقر

(١) د/ علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، نهضة مصر بدون رقم للطبعة ١٩٨٤، ص ١٨٥.

في سائر الأشياء [1].

ويتحدث أستاذ هندي عن عقيدة وحدة الوجود فيقول: "خلقت الحياة هذه من الروح، فالإنسان ليس جسمه أو حواسه، لأن هذه ليست إلى مركبة، وهي تتغير وتموت وتبلى، بل الإنسان هو الروح وهي سرمدية أزلية أبدية مستمرة غير مخلوقة، وعندما تجرد الروح من الظواهر المادية تبدأ رحلتها للعودة إلى الروح الأكبر [2].

ولا شك أن هذا إلحاداً في وجود الله كما يقول الشيخ الغزالي، أو تعبير ملتو للقول بوجود المادة فقط، وما دام لا يوجد شيء وراء هذا العالم، فالقول بأن الله داخله هو صورة أخرى للقول بنكرانه وقد تسرب هذا التفكير إلى بعض طوائف المسلمين ممن انحرفوا بالعقيدة كالجهمية أتباع (جهم بن صفوان) والشيعة، ومن قالوا بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود [3]، وللوصول البرهمي إلى هذه الغاية، أي الانطلاق والاندماج في برهما، فلا بد وأن يأخذ نفسه بالشدة والزيادة المفرطة في الصوم وأرق الليل وتعذيب النفس، وتحملها الحرمان وألوان البلاء، وأن يبدو كثير الهموم والتشاؤم، وهو لا يتمنى الموت، لأن الموت ينقله إلى دورة جديدة من دورات حياته، بل يرجو لنفسه الفناء في برهما.

---

(١) د/ أحمد شلبي مقارنة الأديان، أديان الهند الكبرى، نهضة مصر، ط ٩ ١٩٨٧، ص ٧٢.

(٢) نفس المصدر، ص ٧١.

(٣) مصطفى حلمي، الإسلام والأديان، دار الدعوة، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٥٨، ٥٩.

ولهذا فقد قسمت الفلسفة الهندية الحياة إلى أربع مراحل وكل مرحلة مدتها خمسة وعشرون عاماً، باعتبار أن متوسط العمر مائة وكل مرحلة لها منهجها الذي يليق بها:

فالمرحلة الأولى: مرحلة التربية الجسدية العقلية والروحية.

والمرحلة الثانية: المرحلة العائلية حيث يتزوج ويقوم بواجباته العائلية.

والمرحلة الثالثة: التجرد من الحياة العائلية هو زوجته ويشغلان أنفسهما بخدمة المجتمع.

المرحلة الرابعة: التجرد من كل ما هو دنيوي والتفرغ للرياضة الروحة.

وكل مرحلة من هذه المراحل لها نوع من الزهادة، وهذا بعض ما فرضه الفقه الهندوسي على الهندوس من الزهادة، وبخاصة في المرحلة الأخيرة.

إن الذي تغلب على نفسه فقد تغلب على حواسه التي تقوده إلى الشر، إن النفس لأمارة بالسوء، والنفس لا تشبع أبداً، بل يزداد جشعها بعد أن تنال مشتهاها.

على طالب العلم أن يتجنب الحلوى واللحوم والروائح الطيبة،

والنساء وكذلك يجب عليه ألا يدلك جسده بما له رائحة طيبة، ولا يكحل ، ولا يلبس حذاء، ولا يتظلل بالشمسية، وعليه ألا يهتم برزقه بل يحصل رزقه بالتسول.

عندما تدخل الشيخوخة، عليك بالتخلي عن الحياة الأهلية وبالإقامة في الغابة، وليكن طعامك مما تنبته الأرض، وتثمر الأشجار، ولا تقطف الثمر بنفسك بل كل منه ما سقط من الشجرة بنفسه، وعليك بالصوم تصوم يوماً وتفطر يوماً، وإياك واللحم والخمر.

الرغبة فينا متقلقلة دائماً كالقرد، والنفس لا تشبع أبداً، ولا تقنع بما في اليد، ولا تزال وثابة إلى ما لا تناله، ومهما أشبعتها ازدادت جوعاً وطموحاً.

على الملك الرفق بالطيبين والشدة مع الأشرار، فالملك العادل الذي لا يداهن الناس، يحبه الناس [1].

هذه نماذج من الزهادة التي افترضها الفقه الهندوسي على الهندوس يتضح من خلالها احتقار الحياة، والزهد في ملاذها، وتسلط الاتجاه الروحاني على السلوك الإنساني، كما اتضح أن العقيدة البرهمية تعني بتقوية الروابط الاجتماعية، وتحقيق الإخاء العام "من يسامح شاتميه ولاعنيه فهو مشرف في السماء، ومن يحمل لمن يسيء إليه حقداً فهو من

(١) د/ أحمد شلبي. مقارنة الأديان، أديان الهند الكبرى، ص ٧٣ - ٧٩ بتصرف

أهل الجحيم".

ومن تعاليهم كذلك أن الأعمال البشرية مزيج من الخير والشر، وأن للخير نعيماً مقيماً عند الآلهة، وللشرير العذاب [1]، الأليم والأخلاق في الديانة البرهمية ليست ببعيدة عن العقيدة - كما هو واضح - فعقيدة وحدة الوجود معناها: "أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق إنساناً أو حيواناً أو نباتاً، فكلاهما مرتبط في وحدة وجودية واحدة لا يمكن التمييز بينهما، ولا بين أفعال الإله وأفعال البشر خيرة أو شريرة"[2]، وهذا يؤدي في مجال الأخلاق والسلوك الإنساني إلى جبرية صارمة، وتعطيل للإرادة، وتوقف التفكير ، وسقوط قيمة الإلزام الخلقي، وزوال المسئولية الأخلاقية بإسقاط ركنيها: العقل وحرية الاختيار[3] ويفتح باب الفوضى السلوكية على مصراعيه وضياع الضوابط الأخلاقية الحميدة[4].

(١) د/ حسن جبر شقير، الأخلاق النظرية والعملية في الإسلام ، ص ٩٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٧.

(٣) د/ مصطفى حلمي، الإسلام والأديان ص ٦١.

(٤) د/ حسن جبر، الأخلاق النظرية والعملية، ص ٩٨.

ج- البوذية

إن السمات الأخلاقية بارزة في الديانة البوذية وذلك بما تشتمل عليه من الحث على الفضائل واجتناب الرذائل [1]، ويشير إلى هذا الشيخ محمد أبو زهرة فيقول الجزء الخصيب في البوذية هو مذهبها في الأخلاق وإصلاح المجتمع، وتخفيف ما فيه من شقاء، فلقد لاحظ بوذا أن هذه الحياة تحوطها الأكدار والآلام من كل جانب ولاحظ أن منشأ تلك الآلام في هذه الحياة اللذات والأماني التي تبعثها الرغبات التي استحوذت عليها الملاذ والشهوات"[2].

وتتلخص سبل إزالة الألم في قتل الشهوة التي تربطنا بملذات الجسد وتدفعنا لطلبها، مع أن ما تطلبه يزول ويتغير، وكل ما يزول ويتغير ألم وشقاء، ولا نجاة ولا خلاص إلا بنبذ ما تريده الشهوة، وفي ذلك قتلها، وفي قتلها النجاة والخلاص [3].

ولهذا كان عماد بوذا في مذهبه الأخلاقي أن يجاهد الشخص الشهوات، ويروض إرادته على ترك اللذات، والصبر على الحرمان منها فلا يكون ألم [4].

---

(١) د/ مصطفى حلمي، الإسلام والأديان، ص ٨٦، ٨٧.

(٢) الشيخ/ محمد أبو زهرة، الديانات القديمة ص ٧١، ٧٢.

(٣) د/ مصطفى حلمي، الإسلام والأديان، ص ٨٩.

(٤) أبو زهرة، الديانات القديمة ص ٧٢.

ولكي يصل الشخص إلى هذه الغاية السامية يجب عليه أن يسلك سلوك الجادة المستقيم، وذلك بأن يقيد نفسه بثمانية أمور في كل شأن من شئون الحياة، وهذه الثمانية هي ما يلي:

١- الاتجاه الصحيح المستقيم الخالي من كل سلطان للشهوة واللذة في كل أمر يريده، وفي الجملة ينقي نفسه من كل ما يتصل باللذة عند الاتجاه.

٢- الإشراق الصحيح المستقيم، وذلك أن الإنسان عندما يتجه الاتجاه الصحيح المستقيم في أي أمر يريده تعتريه نورانية تجعله يصل إلى حقائق الأشياء.

٣- التفكير الصحيح المستقيم، وذلك أن العقل إذا نال الإشراق الصحيح كان تفكيره مستقيماً خالياً من أي نزعة هوى أو جموح شهوة.

٤- الاعتقاد المستقيم الذي يصحبه ارتياح واطمئنان، وهذا الاعتقاد المستقيم يترتب على المستقيمات الثلاثة السابقة الاتجاه المستقيم، والإشراق المستقيم، والتفكير المستقيم.

٥- النطق المستقيم حيث يكون نطقه مطابقاً تماماً لاعتقاده المستقيم، وهذا النطق المستقيم متمم للمستقيمات الأربعة السابقة.

٦- السلوك المستقيم وهو ما يكون مطابقاً للاعتقاد المستقيم فيكون العمل على وفق العلم لا مجافاة بينهما ولا مناقصة بل يكون كل منهما مؤكداً للآخر.

٧- الحياة الصحيحة وقوامها هجر اللذات هجراً تاماً، وأن يكون كل ما يجري فيها متطابقاً مع السلوك المستقيم والاعتقاد المستقيم، ولا يشذ شيء فيها عن مقتضى هذا السلوك.

٨- الجهد الصحيح، وذلك بأن تكون كل الجهود التي يبذلها الإنسان في سبيل أن تكون الحياة مستقيمة، ومنع كل ما له صالة باللذات.

هذه هي الأمور الثمانية التي وضعتها البوذية حتى يسلك الشخص الطريق المستقيم ويصل إلى الحياة السعيدة الخالية من الآلام.

وإذا كانت هذه الأمور الثمانية هي لب الفضائل البوذية، فالرذائل عند البوذيين منشؤها هو اللذات والانهماك فيها، ولذلك أرجعوا الرذائل إلى أصول ثلاثة هي:

١- الاستسلام للملاذ فإنه يجعل الحياة كلها في ألم مستمر.

٢- سوء النية في طلب الأشياء، وذلك من استمكان اللذات في النفس، فإن الغرض الفاسد يتحكم في طلب الإنسان للأشياء فلا

يصير واضح المقصد بين الغاية لما له من مآرب يطلبها ويسترها.

٣- الغباء وعدم إدراك الأمور على الوجه الصحيح، وذلك راجع إلى الشهوات واللذات التي تحجب الإدراك الصحيح، ومنع النفس من الإشراق الذي ينشأ من التجرد من الملاذ [١].

هذه الأمور الثلاثة هي أسس الرذائل عند البوذيين.

وكما وضعت البوذية عدا هذه الأمور الثمانية التي هي لب الفضائل وبينت أصول الرذائل، وضعت كذلك الوصايا العشر التي لو أخذ الشخص بها أمكنه الاستيلاء التام على إرادته وترويضها على ترك الملاذ، والعكوف على المجاهدة وتهذيب الذات [٢]، وهذه الوصايا العشر تشكل آداباً عامة [٣] وهي ما يلي:

١- لا تقتل أحداً، ولا تقض على حياة حي.

٢- لا تأخذ ما لا يقدم إليك، فلا تسرق ولا تغتصب.

٣- لا تكذب، ولا تقل قولاً غير صحيح.

٤- لا تشرب خمراً، ولا تتناول مسكراً ما.

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٥.

(٢) نفس المصدر، ص ٧٦.

(٣) د/ مصطفى حلمي، الإسلام والأديان ص ٩٠.

٥- لا تزن، ولا تأت أي أمر يتصل بالحياة التناسلية إذا كان محرماً.

٦- لا تأكل طعاماً نضج في غير أوانه.

٧- لا تتخذ طيباً، ولا تكلل رأسك بالزهر.

٨- لا تقتن فراشاً وثيراً، ولا تقتن آرائك فخمة، ولا وسائد ولا حشايا وثيرة.

٩- لا تأخذ ذهباً ولا فضة [١].

ويقول البيروني عن هذه الدعائم أو الوصايا العشر "والسيرة الفاضلة وهي التي يفرضه الدين وأصوله، إن كثرة الفروع عندهم راجعة إلى جوامع عدة هي: ألا يقتل، ولا يكذب ،ولا يسرق ، ولا يزني، ولا يدخر، ثم يلزم القدس والطهارة، ويديم الصوم والتقشف، ويعتصم بعبادة الله تسبيحاً وتمجيداً، ويديم إخطار "أوم" التي هي كلمة التكوين والخلق على قلبه بدون التكلم به، ومن أهم الرذائل التي تخصها أسفارهم بالذكر، وتحدد مكان مرتكبيها في جهنم، الكذب، وشهادة الزور، وسفك الدم بغير حق، والاستهزاء بالناس، وغصب حقوقهم، والسرقة، وخاصة سرقة الذهب، وقتل البقرة، والزنا، وخاصة الزنا بالابنة،

(١) الشيخ / محمد أبو زهرة، الديانات القديمة، ص ٧٦.

وزوجة الابن، وأم الزوجة، واتصال التلميذ بزوجة أستاذه، وجماع المرأة في الأيام المعظمة، وإتيان البهائم، والإغضاء عن فاحشة الزوجة طمعاً في منفعة، والاحتيال والغدر، وعقوق الآباء والأجداد، والشح والبخل على النفس، وإخفاء المال طمعاً في صلات الأمراء، وإحراق بيوت الناس وقطع الأشجار، وتقصير الأمراء في واجباتهم نحو رعاياهم [1].

ونخلص من ذلك إلى أن بوذا قد وضع فلسفته الأخلاقية على أساس أن الرغبة هي أساس كل شقاء، وأن انتزاع الرغبة من قلب الإنسان ينهي من الحياة كل ما فيها من شقاء ومتاعب، ولهذا فقد وضع بوذا "الطريق ذي الميزات الثماني" لكل من لديه الشجاعة ليسلكه، وهو يشكل قانون الجماعة [2] وقد تحدثنا عن هذه الطريق من قبل.

(١) د/ علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة، ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) د/ عزت زكي، الأخلاقيات في محيط الفكر والديانات ، ص ٧٣.

د- الزاردشتية

يرى بعض الباحثين [1] أن شخصية "زرادشت" أسطورية ليس لها وجود حقيقي، إلا أن كثيراً من الباحثين يرى أن زرادشت هذا قد عاش في القرن الثامن قبل المسيح وأنه يروي التاريخ أنه قد حدثت بعض المعجزات ليلة مولده وقيل أنه عرج إلى الإله بواسطة الملائكة [2].

ويؤكد بعض المفكرين هذا الرأي، فيقولون: إن زرادشت نشأ في بيئة ريفية متواضعة، وأنه اعتنق الدين القديم الذي يقول بخلود النفس، وأعلن أن الخلود لا يمكن أن يكون إلا جزاء الفضيلة، وقد رفض "زرادشت" قتل الكائنات الحية بأي صورة، واعتبر أن ذلك يعد من أفظع الجرائم حتى ولو كان هذا الكائن بسيطاً.

ويستهدف "زرادشت" من ذلك الخلود للنفس - أي نفس - إذ أن القتل يمنع الخلود النفساني [3].

وللديانة "الزرادشتية" كتابها المقدس "زندافيسيا" الذي جمع بعد ذلك في القرن السادس الميلادي، وهو يحتوى على كلام "زرادشت" وأهم ما تحتويه هذه الديانة:

---

(١) د/ عزت زكي، الأخلاقيات في محيط الفكر والديانات، ص ٧٣.

(٢) د/ محمد غلاب، الفلسفة الشرقية، ص ١٨٥- ١٩٠.

(٣) في العقائد والأديان ص ١٢٨ وما بعدها.

١- الاعتقاد بأن جميع الآلهة التي وجدت في تاريخ الأديان هي آلهة محلية، إذ أن لكل شعب آلهته.

٢- إن الأديان إنما جاءت من أجل تعميم مبدأ الخير والقضاء على الشر، وقيادة البشرية إلى الوسائل الضرورية لتحقيق هذه الغاية، ونشر الخصوبة والعمران على سطح الأرض.

٣- إن الخير هو قلب "الزرادشتية" النابض، لذلك فإن زرادشت يقرر أن الخير سيعم الكون بأكمله عندما تسود الفضيلة، ويقضي على آله الشر نهائياً.

"رأيت يا سيدي"

"ألم يكن هذا تحذيراً وعبرة لك، لتعرف أنك ستكون يوماً مثلهم"

"لم أفعل يا سيدي"

"وا أسفاه بناء على إعمالك، يخطون بك، فأنت الآن تجني نتائج عملك".

هـ- المانوية [1]

لم يعرف أحد شيئاً كثيراً عن حياة صاحب هذه العقيدة الذي يدعي "ماني" أكثر من أنه ولد في بابل سنة ٢١٥م وقتل سنة ٣٧٥ بعد الميلاد بأمر من أحد ملوك الفرس..

ويذكر التاريخ أن (ماني) كان متنسكاً متزهداً، وأنه تأثر بالزرادشتية والبرهامانية في آرائه الدينية..

ويذهب "ماني" إلى أن العالم قد نتج عن عملاق قسم جسمه إلى أجزاء تكونت عنها الموجودات كما تقول أسطورة الهنود التي تسمى "باراجاباني" وتتلخص عقيدة "المانوية" في مبدأين: الخير، والشر.

وهما في رأيهما أزليان ومتساويان في كل شيء، والاختلاف الوحيد بين عقيدتي "المانوية" و"الزرادشتية" أن الأولى تعتقد بأن العالم نور وظلمة، وأي أن العالم من عنصرين ما يزالا قوتين حسيتين سمعيتين وبصيرتين وهما في النفس والصورة والتدبير متضادتين.

أما "الزرادشتية" فإنها تعتقد أن هناك إله خير وإله شر، ولكن إله الخير هو الذي ستنتصر عند تحقق الفضائل الإنسانية.

ونحن نعتقد أن الزرادشتية عقيدة توقيفة أو تلفيقية لأنها لا ترفض

---

(١) د/ محمد غلاب، الفلسفة الشرقية ص ٢٠١- ٢-٤.

أن عقائد أخرى أو آلهة خاصة أو محلية، بل تقبل كل الأديان المتباينة، وهي بذلك تحاول في ذكاء أن تستقطب العقائد الأخرى بدعوى أنها تشترك معها في كل الخير بشكل أو بآخر، وهي بهذه الطريقة تستطيع أن تستحوذ على الأديان القائمة الأخرى وتتضمنها في عقيدتها بلا مراعاة عقائدية.

و- المزدكية

اعتنق "مزدك" مذهب[1] الشـــيوعية واعتقد أنه بشيوعية المـــال والنساء يقضي تماماً على الصراعات بين الناس ويباد الشر تماماً من الوجود.

ويقول الإمام الغزالي[2] في كتابه "فضائح الباطنية" و"فضـــائل المستظرية" أن (مزدك) هذا قد أغوى أحد ملوك الفرس للدخول في مذهبه هذا بعد أن أقنعه بأن البلاء في هذا العالم هو النساء والمال وسلم له الملك قيادة، وفوضه في تطبيق مذهبه في رعيته، فأمر على الفور بتوزيع المال على الجميع وبشيوعية النساء.

إلا أنه لحسن الحظ كان للملك ولي عهد حكيم، ذهب إلى "مزدك" متوسلاً إليه ألا يطبق هذا المذهب على الأسرة المالكة، وبعد إلحاح قبل "مزدك" رجاؤه بعد أن انحنى وقبل حذاءه..

ومات الملك بعد فترة قليلة وخلفه ولي العهد الذي استدعى "مزدك" وقال له:

---

(١) د/ محمد غلاب ، الفلسفة الشرقية ص ٢٠٥.

(٢) الإمام أبو حامد الغزالي، فضائح الباطنية.

"إنني ما زلت أشم رائحة حذائك القذر في أنفي، ثم قطع رأسه، وانتهى بذلك حكم المزدكية في المملكة. وفر أتباعه هاربين.

ن- الكونفشيوسية

تنقسم كلمة "كونفشيوس" إلى قسمين [1]:

فأما "كونج" وهي اسم العائلة، وأما "فوشيوس" فمعناها الأستاذ المبجل.

ولد كونفشيوس عام ٥٥١ قبل الميلاد، ووهب حياته كلها للعلم والبحث عن الحقيقة، ونشر الفضائل الأخلاقية..

والجدير بالذكر أن هناك من الباحثين من يعتقد أن " كونفشيوس" هذا أسطورة خرافية، ولكن الرأي ليس لدينا ما يؤيده [2]، فقد كانت هناك مؤلفات عديدة لكونفشيوس تتضمن مذهبه، كما أن له مجموعة شروح وتعليقات على العقائد الأخرى.

ويشبه منهج " كونفشيوس" منهج سقراط، إذ يستهدف تعليم تلاميذه العدالة، وإرشادهم إلى الحقيقة لا عن طريق المحاكاة، بل بطريق التأمل والبحث وتجاوز العالم الناقص والانتقال إلى العالم المعقول الكامل.

وكان يضرب لتلاميذه الأمثال، ويقص عليهم نبذات عن أخلاق

---

(١) د/ محمد غلاب الفلسفة الشرقية، ص ٢٤٥، وما بعدها.

(٢) المرجع السابق.

الحكماء ويقارب بينهم بعض الملوك التي لا تتميز أخلاقهم بالنبل أو الخير.

والحق أن " كونفشيوس" قد لعب دوراً خطيراً في ازدهار الحضارة الصينية، هو الذي أنشأ علم السياسة وقسم الفلسفة العملية إلى الأخلاق وتدبير المترل، وسياسة الدولة أو المدينة الفاضلة [1].

ويمكن القول أن أفلاطون وأرسطو قد تأثرا إلى حد كبير بالفكر الصيني، ممثلاً في شخصية " كونفشيوس" خاصة فيما يتعلق بالمدينة الفاضلة أو جمهورية أفلاطون، وكذلك فيما يتعلق بالأخلاق النيقوماخية عند أرسطو [2].

ويؤمن " كونفشيوس" في فلسفته الأخلاقية بأن الخضوع للقانون الطبيعي هو الذي يثمر الخير والفضيلة، وأن الانحراف عن هذا القانون ينجم عنه الشر والقلق والاضطراب.

وفلسفته هذه هي ثمرة اعتقاده بأن الطبيعة ليس فيها شر لأنها تقوم على أحسن نظام.

لذلك يرى كونفشيوس أن من واجبات الحكيم أن يرد الانسجام إلى كل جزء من أجزاء الطبيعة التي سبق أن فقدها.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية (أفلاطون – أرسطو).

ويرى "كونفشيوس" أن الإنسان كالطبيعة يشتمل على قوتين، إلا أن الخلاف بين الإنسان والطبيعة يرجع إلى تغليب إحدى هاتين القوتين على الأخرى، فإذا تغلبت في الإنسان قوته الإيجابية كان حكيماً.

أما إذا اتبع الأهواء والشهوات فإنه يخل بنظام الطبيعة، فالواجب على الإنسان[1]، هو اتباع الطبيعة، والطريق إلى ذلك هو اتباع التعاليم الدينية.

ويرى كونفشيوس أن الواجب هو الذي يتوجب أن يتعبه الإنسان باستمرار بدون انقطاع حتى الاعتدال والانسجام بالنفس الغير غاضبة هي التي تسمى بالنفس المعتدلة.

أما تلك التي تعدت حدودها بالغضب أو الحزن فإنها تخرج عن حد الاعتدال.

فالاعتدال هو حالة انسجام وهو قانون عام، وأن الواجب إذا كان الأساس فيه منفعة أو لذة أصبح غير واجب، وسقطت عنه قيمته الأخلاقية.

وإن الإنسان بدون أخلاق لا يستطيع أن يتحمل الفقر ولا الغنى وقتاً طويلاً.

---

(١) د/ محمد غلاب، الفلسفة الشرقية، ص ٢٤٥ وما بعدها.

وهذا معناه أن الاعتدال هو الطريق الوحيد ليكون الإنسان بحق أخلاقياً [1].

(١) لمزيد من الاطلاع في هذا الموضوع يراجع كتاب الأخلاق الإسلامية د/ حسن الشرقاوي ط ١ مؤسسة مختار.

سادساً: اليهودية

تذهب الشريعة اليهودية إلى القول بأن الإنسان لا شأن له باكتشاف القواعد الأخلاقية، وأنه لكي يتعرف على الفضائل عليه - فحسب - أن يتجه نحو النصوص المقدسة في التوراة، ليقرأها ويتفهم معانيها.

ونجد هذا التصوير واضحاً - عند أكثر فكري اليهود - قبل العصر الذي سبق المسيحية، فقد كانوا يعتقدون أن البصيرة الأخلاقية إنما هي في معرفة الناموس الإلهي صادرة عن سلطة خارجية عن العقل الإنساني الذي يرون أن مهمته تقتصر على تأويل قواعد الناموس الإلهي وتطبيقها على الحالات العسيرة.

وإذا أمعنا النظر في التوراة تجد أن الشريعة اليهودية موزعة في أسفار ثلاثة هي: سفر الخروج، اللاويين، سفر التثنية، وهذا الأسفار الثلاثة تحتوي على الأمر والنواهي، وتتحدث عن الطقوس الدينية وكيفية أدائها[1] فسفر الخروج يعرض لتاريخ بني إسرائيل، وقصة موسى عليه السلام وخروجه مع بني إسرائيل، وتاريخهم أثناء مرحلة التيه التي قضوها في صحراء سيناء، وبجانب هذه القصص يشتمل سفر الخروج

(١) د/ حسن الشرقاوي، الأخلاق الإسلامية ص ٢٨٤.

على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات.. وما إلى ذلك.

وأما سفر التثنية فقد شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاص بالحرب، والسياسة، وشئون الاقتصاد، والمعاملات والعقوبات والعبادات، وهلم جرا.

وأما سفر اللاويين فقد شغل معظمه بشئون العبادات، وخاصة ما يعلق منها بالأضحية والقوانين والمحرمات من الحيوانات والطيور وتحديد ما يجب فعله وما يجب تركه من الحيوانات [1].

وتمد القواعد الأخلاقية أيضاً إلى الأوامر التي تتمثل في أقوال الله مثل ما ورد في سفر الخروج ما نصه:

"ولا تضطهد الغريب ولا تضايقه لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر، لا تسئ إلى أرملة ولا يتيم"[2].

"لا تقبل خبراً كاذباً، لا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم، لا تتبع الكثيرين إلى فعل الشر، ولا تجب في دعوى مائلاً وراء الكثيرين للتحريف"[3]، ووردت في سفري الخروج والتثنية هذا عدا الوصايا

(١) د/ علي عبد الواحد، الأسفار المقدسة ص ١٣، ١٤.

(٢) سفر الخروج، ص ٢٢/١، ٢٢.

(٣) سفر الخروج، ص ٢٣/ ١:٣.

العشر التي اشتملت على مجموعة من القواعد الأخلاقية الفاضلة [1].

كما سنت الشريعة اليهودية مجموعة من القوانين الأخلاقية التي تنهي عن التعامل بالربا، وعن السرقة والسلب، والغضب، والغش وذلك مثل ما يلي:

"لا تقرض أخاك فضة أو ربا طعام أو شيء مما يقرض بربا" [2].

"من يرحم الفقير من يقرض الرب وعن معروفه يجازيه"[3].

"لا تقتل ولا تزن ولا تسرق"[4].

"لا تغضب قريبك ولا تسلب ولا تبت أجرة أجيرك عندك إلى الغد"[5].

"أنا إلهكم لا ترتكبوا جوراً في القضايا لا في القياس ولا في الوزن ولا في الكيل"[6].

"لا تأخذ رشوة لأن الرشوة تعمي المبصرين، وتعوج كلام الأبرار"[7].

---

(١) راجع نص الوصايا العشر في سفر الخروج ص ٢٠/ ١: ١٧.

(٢) سفر الخروج / صح ٢٢/ ٢٥.

(٣) سفر الأمثال/ صح ١٩/ ١٧.

(٤) سفر التثنية/ صح ٥/ ١٧: ١٩.

(٥) سفر اللاويين ، صح/ ١٩/ ١٣.

(٦) سفر اللاويين، صح ١٩/ ٣٣/ ٣٧.

(٧) سفر الخروج / صح ٢٣/ ٨.

ونخلص من ذلك إلى أن الشريعة اليهودية قد اشتملت على مجموعة من الأخلاق الفاضلة بغض النظر عن تحريف اليهود لها، وعن العنصرية البغيضة، والوصايا الرهيبة التي تصب حقداً على من يخالفها في العقيدة.

سابعاً: النصرانية

جاءت النصرانية في بيئة مادية جشعة، حيث اتجه اليهود بكل إمكانياتهم إلى المال والمادة، واستبدلوا التعاليم السماوية بتعاليم أرضية خالية من كل معاني الإنسانية إلا على أنفسهم.

لذلك كان جل التعاليم المسيحية ينصب على لدعوة إلى المحبة والتسامح، والسلام، والبذل والسخاء حتى مع الأعداء، وتنص الأناجيل على ذلك فيقول على لسان المسيح عليه السلام: "سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحد فاذهب معه اثنين، ومن سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده، سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لأعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطرودنكم..."[1].

وتقول كذلك ما نصه: "طوبى للرحماء لأنهم يرحمون، طوبى لأتقياء القلب لأنهم يعاينون الله، طوبى لصانعي السلام"[2].

---

(١) إنجيل متى، صح ٥/ ٧: ٩.

(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية، صح ١٢/ ٢٠.

ويقول بولس في هذا الشأن إن جاع عدوك فاطعمه، وإن عطش فاسقه لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه"[1].

وهكذا فقد اشتملت النصرانية على مجموعة من القواعد والقوانين الأخلاقية الفاضلة، فدعت إلى المحبة، والتسامح، والعفو والإحسان، وعدم مقابلة الشر بالشر، والتمسك بالطهارة، طهارة النفس والروح كما نهت عن الزنا، والسرقة والسلب، وشهادة الزور، فجاء في إنجيل متى على لسان المسيح عليه السلام، وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية فقال لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً، إلا واحد وهو الله ، ولكن إن أرادت أن تدخل الحياة الأبدية فاحفظ الوصايا قال له أية وصايا، فقال يسوع لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد الزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك".[2].

ولكن هل طبق النصارى هذه التعالم الأخلاقية الفاضلة، وما شابه ذلك التي تدعوا إلى المحبة والتسامح مع العفو على أنفسهم في علاقاتهم بغيرهم؟

يشهد التاريخ أن النصارى لما آل إليهم السلطان، وقويت شوكتهم

---

(١) إنجيل متى، صح ١٩/ ١٦: ٢١.

(٢) د/ أحمد شلبي، المسيحية ص ٢٦٧.

بدخول الإمبراطور قسطنطين في النصرانية، لم يعرفوا سلاماً مع غيرهم على الإطلاق، وظلت هذه التعاليم حتى الآن حبراً على ورق، بل إنهم أحلوا البغض والانتقام والغيظ والعدوان محل المحبة والتسامح، وقد استندوا في ذلك إلى بعض الأقوال التي نسبوها إلى المسيح عليه السلام مثل ما جاء في إنجيل متى "لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً"[1].

ويقول بولس في هذا الشأن "لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين لأنه أية خلطة للبر والإثم، وأية شركة للنور مع الظمة، وأي اتفاق للمسيح مع بيلعان، وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن، وأي موافقة لهيكل الله مع الأوثان فإنكم هيكل الله الحي.. "[2]؟.

ونخلص من ذلك إلى أن الشريعة جعلت المحبة والتسامح، والعفو، وغير ذلك من الأخلاق الفاضلة أساساً ومنطقاً وغاية لها، ودعت إلى التحلي بها حتى مع الأعداء حتى ولو أدى ذلك إلى الرضا بالضيم.

(١) إنجيل متى، ص ١٠/ ٣٤.

(٢) رسالة بولس إلى أهل كورنثوس، صح ٦/ ٢٤: ١٦.

ثامنًا: الإسلام

نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له ونبذ عبادة الأوثان، ويضع للناس منهاجاً واضحاً إذا اتبعوه أصابوا السعادة في الدنيا والآخرة، ووضع لهم دستوراً عظيماً في الأخلاق الفاضلة والمثل العليا، إذا اتبعوا كانوا أعز مجتمع وحققوا دولة دستورها الأخوة والمحبة [1].

فقد دعاهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلى مكارم الأخلاق، وبتعبير آخر "الأخلاق الحسنة" وهي تشمل كل خصلة من خصال الإنسانية التي تجعل من الذي يتصف بها إنساناً كاملاً بتمام معنى الإنسانية.

وهذه الأخلاق الحسنة أتصف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً وقبل الجميع من أمته، فقد أجابت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت: "كان خلقه القرآن".

ولا شك أن في مكارم الأخلاق التي دعا إليها القرآن الكريم والسنة النبوية إنما تتلخص في إطاعة الله، وإطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإطاعة أولي الأمر من المسلمين فيقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) أحمد السيد عبد الخالق، الفضيلة والسعادة في الفكر اليوناني والإسلامي، ط ١ ١٩٨٢م، ص ٨٤.

آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [1].

وهذه الطاعات الثلاث، والمراجعة إلى كتاب الله وسنة رسوله عند التنازع في شيء تربي الإنسان تربية صحيحة كاملة في شئونه الدينية وشئون حياته الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسة، وتجعل منه إنساناً كامل الإنسانية ، وبالتالي تخلق مجتمعاً إنسانياً بتمام المعنى المطلوب[2].

ولهذا فقد حرص الإسلام على الدعوة إلى مكارم الأخلاق، ونهى عن مفاسد الأقوال، ومساوئ الأفعال، وبجميع أنواعها، ومن مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام ، الدعوة إلى صلة الأرحام، والبر بالولدين، وبالأقارب جميعاً، بل كانت الدعوة ببر الولدين بعد الدعوة إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له.

كما دعاهم إلى الإخلاص في القول والعمل، وإلى الصدق، والإحسان وكظم الغيظ، والصفح عن الآخرين، ودعاهم إلى محبة الله ورسوله ومحبة بعضهم البعض والوفاء بالعهود والمواثيق ونهاهم عن القتل، والسرقة، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، وأكل أموال الناس

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) مبشر الطرازي الحسيني، الإسلام الدين الفطري الأبدي ج ١ ، عمر بن الخطاب ج٢.

بالباطل[1]، والنفاق، والخداع، كما نهاهم عن الزنا وممارسة دواعيه، وقد عين الإسلام لمن يرتكب هذه المفاسد والمساوئ جزاءاً رادعاً على العموم فقد أمر الإسلام المسلمين بجميل الصفات، ونهاهم عن قبيحها[2]، وسيأتي تفصيل وبيان لبعض ما دعا إليه الإسلام من الفضائل في الجزء الثاني إن شاء الله ، عند الحديث عن الأخلاق العملية في الإسلام.

وخلاصة ذلك أن الإسلام الحق والأخلاق الحسنة لا انفصال بينهما أبداً، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك حين عبر عن الإسلام بأنه "حسن الخلق" فقال صلى الله عليه وسلم : "الإسلام حسن الخلق"، ولهذا كانت الأخلاق الفاضلة هي دعوة الإسلام ، وأن النقص في الأخلاق نقص في الدين، وضعف الأخلاق دليل على ضعف الإيمان، لأن الدنيا قائمة على الدين، والدين بعقائده وشريعته جاء لإصلاح الناس وإقامتهم على الفضيلة"[3].

(١) د/ أحمد السيد عبد الخالق، الفضيلة والسعادة في الفكر اليوناني والإسلامي ص ٣.

(٢) ميثر الطرازي الحسيني، الإسلام الدين الفطري الأبدي ص ٣٨.

(٣) د/ سيد عبد العزيز السيلي، جوانب الأخلاق في الإسلام، دار الرحمن للطباعة ص ٥.

تاسعاً: خصائص النظرية الخلقية

لعنا نستطيع بعد أن عرضنا المقومات للنظرية أو النظام الخلقي في الإسلام أن نحدد أهم السمات والخصائص التي يمتاز بها هذا النظام فيما يلي:

أ- ارتباط الأخلاق في هذا النظام بالعقيدة الإسلامية:

فقد رأينا أن الأساس الأول للأخلاق الفاضلة بل والعبادات والأعمال الصالحة هو العقيدة أو الإيمان، فلا قيمة لعمل أو لسلوك - في نظر الإسلام - بدون الإيمان، فهو منبع كل خير، وأساس كل فضيلة، لأنه قوة دافعة، في النفس وفي القلب فإذا تمكن من القلب وأشرق نوره في النفس، انبعثت الإرادة الطيبة، واستقامت الجوارح، وسارعت إلى العمل والتنفيذ، وعندئذ يستقيم القول والعمل، ويتطابق الظاهر مع الباطن، فلا يفعل صاحبه إلا ما يعتقد ويؤمن به، ولا يقول إلا ما يفعل، لأن هذا مقتضى الإيمان، ولا ينبغي للمؤمن أن يقول ما لا يفعل، ولهذا فإن الله تعالى قال في كتابه العزيز، **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ}**[1].

وقد رأينا أن للإيمان آثاراً عظيمة في الحياة الأخلاقية، ذلك أنه

---

(١) سورة الصف: ٢، ٣.

يحرر النفس الإنسانية من قيودها المادية وشهواتها، ويدفع الإنسان إلى العمل الصالح، ويربي الضمير ويمده بأقوى زاد، ثم إنه يضفي على المبادئ الأخلاقية قداسة تسمو بها عن أن تكون مجرد أفكار نظرية تحدد علاقة الناس بعضهم ببعض لتحقيق مصلحة فردية أو اجتماعية، وهذه القداسة تجعل لها في النفوس مهابة تتحكم في تصرفات الإنسان في السر والعلن، لأن إحساسه بقدسيتها يجعل من نفسه رقيباً داخلياً يدفعه إلى مراعاتها حتى ولو كان في مأمن من أعين الرقباء ويجعله ....

... من واجب وراحة الضمير، وهذا ما لا يتوافر في النظم الأخلاقية الأخرى وخاصة الوضعية، ولهذا فإن سلطانها على الظاهر لا على البعض، ولا يمكن أن تنمو الحياة الخلقية في ظل تلك النظم نمو سليماً، ونشير في هذا الصدد إلى ما قرره "كانط" في قوله "إن الحياة الأخلاقية، يمكن أن تنمو نمواً كاملاً دون الاعتقاد في الله"[1].

ب- أصالة الأخلاق الإسلامية:

الإسلام في حقيقته عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق. والأخلاق جزء من الدين، بل هي الدين لأن الدين — كما قيل — خلق من زاد عليك في الدين زاد عليك في الخلق، والأخلاق في الإسلام الثمرة الحقيقية للعقيدة والعبادة والتدين الحقيقي يورث الأخلاق القويمة الفاضلة.

(١) انظر جيم تولتز: الله في الفلسفة الحديث ص ٢٢٨، من الترجمة العربية.

والإسلام هو المصدر الأصيل للأخلاق السامية، فالقرآن الكريم والسنة الشريفة وما تضمنته من تطبيق رائع لفضائل القرآن ومكارمه هما الينبوع العذب الذي استقت منه المبادئ والقيم والمثل.

وقد أقر الإسلام حينما جاء كثير من المكارم التي كانت في تراث السابقين سواء كانت بقايا وحي سماوي، أو كانت من ثمار العقل الإنساني لرشد، والفطرة البشرية المستقيمة.

لقد أقر الإسلام مثل هذه المكارم، وأخذ بها، لأنها؛ لو لم تكن موجودة لأقرها درجة إليها، وحث الناس على اتباعها.

وإذا كان حكماء الإسلام قد اقتبسوا بعض الأفكار من هنا أو من هناك فإنهم:

أولاً لم يقتبسوا شيئاً من الأصل والمبادئ الأساسية، وإنما اقتبسوا بعض الأفكار العقلية التي قد تساعد في توضيح مبدأ أو تفضيل عمل،

وثانياً فإنهم قد أضفوا على ما اقتبسوه من الطابع الديني وصبغوه بصبغة الإسلام ، بحيث أصبح يعد أصيلاً في الإسلام لا دخيلاً عليه، وقد أشاروا إلى أن الإسلام إذا كان قد وضع المبادئ والأصول، وتضمن كل ما يتصل بالأخلاق وأسسها، فإنه جعل للعقل دوراً في الفهم والاستنباط والتحليل والموازنة، والشرح والإيضاح.

ج- شمول الأخلاق الإسلامية:

إن الأخلاق في النظرية الإسلامية أشمل من الأخلاق في النظريات أو المذاهب الأخلاقية الأخرى، وخاصة الوضعية، ذلك أن الأخلاق في الإسلام عبارة عن السلوك الإرادي الصادر من الإنسان الراشد، سواء كان هذا السلوك ينظم علاقة الفرد بالله تعالى، أو بنفسه، أو بالناس أفراداً وجماعات، ولا تقتصر الأخلاق على السلوك الظاهري، بل تتناول أعمال القلوب من النية، والإرادة والاعتقاد فمن أخلاق الإسلام ما يتعلق بالفرد كما في قوله تعالى:

{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}[1].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن لبدنك عليك حقاً".

وقوله صلى الله عليه وسلم : "اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها".

ومن أخلاق الإسلام ما يتعلق بالأسرة، كالإحسان إلى الوالدين: **{وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً }**[2].

---

(١) سورة الشمس: ٩، ١٠.

(٢) سورة الأحقاف: ١٥.

والإحسان إلى الأقارب: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ}[1].

ومنها ما يتعلق بالمجتمع، سواء في الأخـــلاق: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً}[2].

أو في الآداب مثل: {لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا}[3].

أو في الاقتصاد مثل: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ}[4].

أو في الحكم مثل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}[5].

ومن أخلاق الإسلام ما يتعلق بعلاقة الإنسان بربه من توحيده وعدم الإشراك به، وأداء العبادات التي فرضها عليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، والتوجه بالحمد والشكر له.

وباختصار فإن مجال الأخلاق في النظرية الإسلامية مجال واسع

---

(١) سورة الإسراء: ٢٦.

(٢) سورة البقرة: ٨٣.

(٣) سورة النور: ٢٧.

(٤) سورة المطففين: ١-٣.

(٥) سورة النساء: ٥٨.

وشامل، يمتد إلى ميادين الحياة كلها، ولا ريب أن النظرية الإسلامية تمتاز بذلك عن النظريات الوضعية لأن مجال الأخلاق في تلك النظريات محدود وهو يختلف من نظرية أو نظام إلى نظام، ففي النظام المادي عند الوضعيين نجد مجال الأخلاق محصوراً في العلاقة بين الإنسان والإنسان، وعند الاجتماعيين نجد مجالها محصوراً في العلاقة بين الفرد والمجتمع.

د- مواءمة الأخلاق الإسلامية بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع:

الأخلاق في النظرية الإسلامية تمتاز بالمواءمة والتنسيق بين مصلحة الفرد، ومصلحة المجتمع، ذلك أن الإسلام قد أعطى الفرد الحرية في ممارسة حقوقه الطبيعية كإنسان في إطار القيم، ثم جعله مسئولاً عن تصرفاته أما الله، وأما ضميره وأمام المجتمع.

ومن ناحية أخرى فإنه أعطى للمجتمع قيمة، وقرر له حقوقاً، ونسق بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع بحيث لا يطغى حق أحدهما على حق الآخر، فلم يعط الفرد حرية كاملة أو مطلقة بحيث يمكن أن يستغل بها المجتمع لصالحه الخاص، ولم يجعل المجتمع مجرد وسيلة لتحقيق الأهداف الفردية، كما فعل أصحاب النزعة الفردية الذين أعلوا من شأن الفرد على حساب المجتمع.

ومن جهة أخرى فإنه لم يلغ شخصية الفرد وحريته، ولم يجعله مجرد وسيلة لتحقيق أغراض الجماعة، كما فعل أصحاب النزعة

الاجتماعية، وإنما أقام التوازن بين الفردية والجماعية في حياة الإنسان.

ولكن هناك حالات – هي حالات الضرورة – تقتضي ترجيح مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد إذا كانت مصلحته تتعارض مع مصلحتها؛ لأن خير المجموع يقدم على خير الفرد، وهذا لا يعني ولا يقتضي إهدار قيمة الفرد في سبيل خير المجموع وجعله مجرد وسيلة في يد الجماعة، لأن هذه حالات استثنائية، والاستثناء لا يخرق القاعدة.

وإذا كان الإسلام يحبذ إيثار الإنسان غيره على نفسه، ويعد ذلك فضيلة فإنه قد لا يحبذ ذلك أحياناً، ولا يطلبه، بل يطلب من الفرد أن يبدأ بنفسه، وفي الحديث الشريف "ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك ، فإن فضل من أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا".

ولا ريب في أن النظرية أو النظام الأخلاقي في الإسلام يتميز بذلك عن كثير من النظم الأخرى، لأن بعضها نزع نزعة فردية، وأهمل مصلحة الجماعة، وبعضها نزع نزعة جماعية، وألغى مصلحة الفرد.

هـ– جمع الأخلاق الإسلامية بين المثالية والواقعية:

الأخلاق في النظرية أو النظـــام الإسلامي تجمع بين المثالية والواقعية، فلم تطالب الإنسان بمحبة عدوه ومباركة لاعنه: لم تطلب منه أن يدير خده الأيسر لمن ضرب خده الأيمن، كما فعلت المسيحية؛ لأن

ذلك أمر يشق على النفوس، وليس في طاقة كثير من الناس أن يفعلوه، ويلتزموا به في سلوكهم، والتزام العفو عن المسيئين قد يجرئ الأشرار على الأخيار.

إن هذا يعتبر مثالية متطرفة، ولهذا فإن الإسلام لم يكلف الناس ذلك، لأنه لو كلفهم جميعاً بهذا تشق على النفوس تنفيذه، وقهر كثيراً من الناس على ما لا تستطيعه طبائعهم، وأمزجتهم النفسية.

لقد كان الإسلام واقعياً في تشريعاته الأخلاقية، وتتجلى هذه الواقعية في أن شرع مقابلة السيئة بمثلها، بلا حيف ولا عدوان، فأقر بذلك مرتبة العدل ودرء العدوان، وراعى التفاوت الفطري والعملي بين الناس، لأن استعداداتهم وطاقاتهم مختلفة، ففيهم ضيق الصدر سريع الغضب لا يحتمل أذى من غيره، وفيهم الحليم الذي يكتم غيظه فلا يحاول رد الإساءة بمثلها، بل يصبر ويعفو ، بل وفيهم من هم أرحب صدراً، وأحسن أخلاقاً فيقابلون السيئة بالحسنى ومنهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد، ومنهم السابق بالخيرات.

وراعى الإسلام أيضاً الظروف والحالات الاستثنائية كالحرب مثلاً، وأباح من أجلها ما لا يباح في ظروف السلم، كالكذب لتضلل العدو، فإن الحرب خدعة كما يقولون.

ولكن الإسلام لم يكتف بهذا القدر الواقعي وحده، بل فتح الباب

أمام الناس للتحليق في أفق حتى لا يحرم أصحاب القلوب المرهفة والعزائم القوية من الصعود في مدارج الكمال.

لقد جمع الإسلام بين الأمرين معاً، على نحو يتيح لأتباعه حرية الحركة بين القطبين، على قدر تحقق كل منهم بمكارم الأخلاق، لقد سمح للإنسان بالانتصار لنفسه، وأن يقابل السيئة بمثلها، وبعد أن أذن للجميع بذلك، فتح للقادرين باب التسامي على الانفعالات الثائرة، والأحاسيس الهائجة، فرغبهم في العفو والصفح، ترغيباً لهم في فضل الله وحسن ثوابه: {**فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**}[1]. بل يرتفع الإسلام بالمسلم في عفوه وصفحه إلى درجة أسمى يحسن فيها إلى من أساء إليه: {**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**}[2].

وبهذا يمتاز النظام الأخلاقي في الإسلام عن الأنظمة الأخلاقية الأخرى، سواء التي تشددت في المسيحية وكمذهب كانط الذي تشدد في إلزام الإنسان بالمبادئ والقواعد الأخلاقية في كل الحالات، دون اعتبار الضرورة التي أسرفت في الواقعية، وجعلت الغاية تبرر الوسيلة أيا كانت.

---

(١) سورة الشورى: ٤٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٤.

و- كمال الأخلاق الإسلامية لأنها مصدر الوحي:

الأخلاق في النظام الإسلامي مصدرها الله تعالى باعتبار وحياً دينياً واردة إلهية، وهذا يكفل لها الكمال، ويجعلها أفضل منهج يمكن أن يحقق سمو الإنسان وارتقاءه، وذلك لأن الله تعالى الذي خلق الإنسان ويعلم خبايا نفسه هو الذي حدد أصول القيم والفضائل الكفيلة بإصلاح هذه النفس وتهذيبها.

ومن المعلوم أن إرجاع هذه الأخلاق وإسنادها إلى الله تعالى لا يعني إسناداً لها إلى قوة غاشمة، أو سلطة غاشمة، وإنما يعني ذلك إرجاعها إلى مصدر العلم الشامل، والحكمة التامة، والرحمة العامة والخير المطلق ، والحق الكامل.

ومن شأن ذلك أن يجعل النفوس تتقبل أوامر الأخلاق الواردة من هذا المصدر في رضا، وتقبل عليها برغبة، بحيث لا تكون في النفوس كراهية لها؛ لأنها تؤمن بأنها تهدف إلى تحقيق الخير لنا، وقد عرفنا ما للرغبة من أثر عظيم في بعث العزائم وتحريك الهمم إلى تنفيذ أو تحقيق المرغوبات.

ولا ريب أن النظام الأخلاقي في الإسلام يتميز بذلك عن كثير من النظم الأخلاقية الأخرى، وخاصة الوضعية؛ لأن بعض هذه النظم ترجع الأخلاق في مصدرها إلى العمل كما في النظم المثالية العقلية، وبعضها

يرجعها إلى التجربة – كالوضعيين التجريبيين – بعضها يرجعها إلى المجتمع – كالاجتماعيين من أمثال "دوركايم" و"ليفي بريل".

ز- التزام الأخلاق بالنظرية الشمولية المستوعبة:

الالتزام الأخلاقي في النظام أو النظرية الإسلامية يمتاز بالنظرية الشمولية المستوعبة، وذلك لأنه يرجع في النهاية إلى الله تعالى الذي يحيط بكل شيء علماً، ومن ثم فإنه راعى اختلاف الطبائع، وتفاوت الاستعدادات عند الناس، ولذا فإنه جعل للإلزام مصادر متعددة، بحيث يكون لكل فريق من الناس وازعاً أو سلطاناً يدفعه إلى الالتزام، فمنهم من يخضع لسلطة العقل، ومنهم من يخضع لسلطة الضمير، ومنهم من لا يتحرك إلا تحت عامل الترغيب والترهيب، ومنهم من لا يلتزم إلا خوفاً من سيف السلطان، وهكذا.

وبهذه الخصيصة يكاد ينفرد النظام الإسلام من بين النظم الأخرى، سواء كانت مثالية أو كانت واقعية، فجميع هذه النظم تقريباً قد نظرت نظرة ضيقة، ولم تضع في اعتبارها تفاوت الناس في الطباع والاستعداد، ومن ثم ردت الإلزام إلى سلطة واحدة، واختلفت في تحديد هذه السلطة، فمنها ما قالت إنها العقل، ومنها ما قالت إنها الضمير أو الحدس ومنها ما قالت إنها التجربة ومنها ما قالت إنها المجتمع.

وفي تصورنا أن هذه النظم تعد نظماً قاصرة، وذلك لأن كلاً منها

قد نظر إلى الموضوع نظرة ضيقة، وعالجه من زاوية واحدة، ومن ثم فإنها لم تصب الحقيقة كاملة، وإن كانت قد أصابت جزءاً منها، ولا غرابة في هذا ما دامت هذه النظم قد صدرت من العقل الإنساني الذي من شأنه أن يصيب وأن يخطئ، ولا يستطيع أن ينظر في قضية ما نظراً يستوعب كل الأزمنة والأمكنة، وجميع الظروف والأحوال.

ح- دقة الأخلاق الإسلامية وسعة الأفق في مجال الغاية التي تقصدها:

النظام أو النظرية الأخلاقية في الأصل تمتاز بالدقة وسعة الأفق في مجال الغاية التي تقصدها الأخلاق، وهذا يرجع أيضاً إلى أن الإسلام يراعي اختلاف الطبائع، وتعدد الميول، ولذا فإنه وإن جعل الغاية العليا للسعادة الأخروية، فإنه لم ينكر الغايات الأخرى كالمنفعة أو اللذة، ومن ثم فإن كل إنسان يجد فيه ما يناسبه وما ينشده، فمن كان مثالياً يترع إلى الخيرات لذات الخير، وجد في أخلاقية الإسلام ما يرضي مثاليته، ومن كان ينشد السعادة وجد في التصور الإسلامي، ما يحقق سعادته وسعادة الآخرين معه، ومن كان يميل إلى المنفعة — فردية أو جماعية — وجد فيه ما يرضي نفعيته، ومن كان يطمع إلى الترقي في سلم الكمال وجد فيه ما يحقق طموحه، ومن كان همه التكيف مع المجتمع وجد فيه ما يحقق هدفه، بل من يطلب اللذة الحسية يجدها فيما أعده الله للمؤمنين في الجنة من نعيم مادي، ومتاع حسي، وتجدر الإشارة إلى أن النظام

الإسلامي يمتاز بذلك عن النظم الأخرى، لأنها نظرت نظرة ضيقة، وجعلت الغاية تتمثل في أمر واحد، قيل إنه اللذة، وقيل إنه المنفعة، وقيل إنه السعادة، وقيل إنه التكيف مع المجتمع، وقيل إنه الواجب، إذا اعتبرنا ذلك غاية.

ط- اهتمام الأخلاق الإسلامية بالنية:

اختلف النظام الأخلاقي في الإسلام عن كثير من النظم الأخلاقية الأخرى، خاصة تلك النظم أو المذاهب التي اهتمت بالنتائج وحدها وأهملت البواعث والدوافع وذلك مذهب اللذة، ومذهب المنفعة، ومذهب السعادة، فهذه المذاهب قد أغفلت النية التي يصدر عنها الفعل أو السلوك، وبإغفالها - لذلك - عجزت عن إصدار أي تقييم خلقي حقيقي، وهبطت بما للأخلاق من سمو وقداسة.

أما النظام الإسلامي فقد اهتم بالنية اهتماماً كبيراً، فجعل الأعمال بالنيات، وحرص على تمحيص النية وتخليصها من شوائب الرياء والنفاق، وفي اهتمامه بالنية واعترافه بقيمتها اعتراف بجوهر العمل الأخلاقي وقيمته، لأنها تعتبر العنصر الجوهري في الأخلاقية بأسرها ومع تقدير النظام الإسلامي للنية فإنه لم يهمل ما يترتب عليها من آثار، لأن النتائج لها دور في تكييف العمل الخلقي لا ينبغي إغفاله، ولهذا فلا بد من أن يأخذ الإنسان على عاتقه مسئولية تحقيق العلم الذي أراده ونواه،

فالنية وحدها لا تكفي، ولا بد معها من العمل، لأن العلاقة بينهما وثيقة.

ى- صلاح الأخلاق الإسلامية لكل زمان ومكان:

النظام الخلقي في الإسلام صالح لهداية الإنسان وتهذيب الأخلاق في كل زمان ومكان، وذلك لأنه قام على دعائم ثابتة لا تتغير بتغير الزمان، ولا بتغير المكان، فالإيمان بالله تعالى وحرية الإنسان، ومسئوليته وما تستلزمه من الجزاء حقائق ثابتة وباقية ما بقي الإنسان، وما دامت السماوات والأرض.

والقيم أو القواعد والمبادئ الخلقية مبادئ متسقة مع طبيعة الإنسان وفطرته، فلا تكلفه ما ليس في وسعه، ولا تطلب منه ما لا يطلق، ومع هذا فإنها تتيح لذوي الطموح أن يحققوا طموحاتهم، وأن يرتفعوا في المثالية، وأن يرتقوا صعداً في سلم الكمال، ولكن هذا يقتضي نوعاً من المجاهدة والمشقة، لكنها مشقة يمكن احتمالها، وإذن فإن المبادئ الخلقية كلها في الإسلام يمكن تطبيقها، ويجد كل فرد فيها ما يناسبه ويتلاءم مع مواهبه واستعداداته وظروفه، وليس فيها شيء يستحيل تطبيقه.

ثم إن الإسلام قد حرص على أن يكون نظامه الأخلاقي صالحاً لمسايرة الحياة والتكيف مع ظروفها وملابساتها في أي عصر، وذلك لأنه راعى أن تكون مبادئه الأخلاقية مبادئ عامة تشكل إطاراً عاماً فضفاضاً

يمكن لكل جيل أن يستمد منه منهجاً للسلوك يتلاءم مع مقتضيات عصره، دون أن يخرج عن الإطار العام، وبهذا يظل الإنسان في سلوكه مرتبط بالنظام الإسلامي.

هذه هي أهم الخصائص والسمات التي يمتاز بها النظام الأخلاقي في الإسلام، والتي تكشف عن مكانته بين النظم الأخرى، ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا الآن إن هذا النظام يعتبر أكمل وأسمى نظام يمكن أن يحقق للإنسان الكمال، ويدفعه إلى الخير والفضيلة، ويبعد به عن الشر والرذيلة.

وليست الأخلاق في النظام الإسلامي مجرد أفكار نظرية، ولكنها أخلاق تجمع بين النظرية والتطبيق، ولقد كان تطبيقها الأعظم والأكرم ممثلاً في أخلاق رسولنا صلوات الله وسلامه عليه الذي وصفه ربه بقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[1].

ومن ثم كان الأسوة الحسنة التي ينبغي أن يتأسى بها كل من يشد الكمال، ويتطلع إلى الفلاح والسعادة.

ويجدر بنا أن نقدم – بإيجاز – بعض النماذج التطبيقية من سيرة صاحب الخلق العظيم صلوات الله وسلامه عله لنبرهن على أن الأخلاق

(١) سورة القلم: ٤.

في النظرية الإسلامية يمكن تطبيقها [1].

(١) د/ عبد المقصود عبد الغني، النظرية الخلقية في الإسلام – دراسة مقارنة – دار الثقافة العربية بدون رقم للطباعة ١٤١٢هـ ١٩٩١، ص ٢٢٧ –

المراجع

١- القرآن الكريم

٢- السنة النبوية.

٣- دارسات في الأخلاق ، د/ محمد عبد الستار نصار، دار القلم بالكويت، سنة ١٩٨٢.

٤- العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، د/ محمد بيصار.

٥- مباحث في فلسفة الأخلاق، د/ محمد عبد المعطي بركات.

٦- دستور الأخلاق في القرآن ، د/ محمد عبد الله دراز، مؤسسة دار الرسالة، دار البحوث العلمية بيروت، ط ٣، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٧- العلاقة بين العقيدة و الأخلاق في الإسلام ، سامي عفيفي.

٨- دراسات في علم الأخلاق ، د/ محمود محمد مزروعة، مكتب الرياض للطباعة الأميرية، مدينة الرياض ١٤٠٠هـ/ ١٨٩٠م.

٩- الأخلاقيات في محيط الفكر والديانات، د/ عزت زكي، دار التأليف والنشر للكنسية الأسقفية، ١٩٧٤م.

١٠- في الأخلاق الإسلامية والإنسانية، د/ علي معبد، دار الطباعة المحمدية، ط ٢، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

١١- دراسات في الفلسفة الخلقية د/ فيصل بدير.

١٢- الأخلاقيات في محيط الفكر والديانات، د/ عزت زكي.

١٣- دراسات في الفلسفة الخلقية، نقلاً عن د/ حسن جبر، الأخلاق النظرية والعملية في الإسلام د/ فيصل بدير.

١٤- في الأخلاق الإسلامية د/ علي معبد.

١٥- العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، د/ محمد بيصار ، دار الكتاب اللبناني، ط ٤ ، ١٩٧٣.

١٦- الأخلاق النظرية، د/ عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت ط ٢ ، ١٩٧٦م.

١٧- دروس في تاريخ الفلسفة، د/ إبراهيم مدكور، أ/ يوسف كرم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٣.

١٨- الأخلاقيات في محيط الفكر والديانات د/ عزت زكي.

١٩- العلاقة بين السياسة والأخلاق في مقدمة كتاب أرسطو، للأستاذ/ سانتهلير، ترجمة الأستاذ/ لطفي السيد.

٢٠- الأخلاق أحمد أمين، طبعة دار الكتب، بدون تاريخ.

٢١- الدين، د/ محمد عبد الله دراز، دار العلم، الكويت، بدون رقم للطبعة ١٩٨٠م.

٢٢- مقارنات الأديان، والديانات القديمة الإمام محمد أبو زهرة.

٢٣- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د/ علي عبد الواحد وافي نهضة مصر بدون رقم للطبعة ١٩٨٤.

٢٤- الإسلام والأديان مصطفى حلمي دار الدعوة، ط١، ١٩٩٠م.

٢٥- مقارنة الأديان، أديان العند الكبرى، أحمد شلبي.

٢٦- الإسلام والأديان، د/ مصطفى حلمي.

٢٧- الفلسفة الشرقية، د/ محمد غلاب.

٢٨- فضائح الباطنية الإمام أبو حامد الغزالي.

٢٩- الأسفار المقدسة د/ علي عبد الواحد.

٣٠- سفر الخروج.
٣١- فصل الوصايا العشر في سفر الخروج.
٣٢- سفر الأمثال.
٣٣- سفر التثنية.
٣٤- سفر اللاويين.
٣٥- إنجيل متى.
٣٦- رسالة بولس إلى أهل كورنثوس.
٣٧- الفضيلة والسعادة في الفكر اليوناني والإسلامي، أحمد السيد عبد الخالق، ط ١، ١٩٨٢م.
٣٨- الإسلام الدين القطري الأبدي مبشر الطرازي الحسين، ج١ ، عمر بن الخطاب ، ج٢.
٣٩- الفضيلة والسعادة في الفكر اليوناني والإسلامي، د/ أحمد السيد عبد الرحمن.
٤٠- جوانب الأخلاق في الإسلام ، د/ سيد عبد العزيز السيلي، دار الرحمن للطباعة.
٤١- انظر جيم تولتز: الله في الفلسفة الحديث ص ٢٢٨، من الترجمة العربية.
٤٢- النظرية الخلقية في الإسلام دراسة مقارنة، د/ عبد المقصود عبد الغني، دار الثقافة العربية بدون رقم للباعة ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

اختبار مرحلة البكالوريوس

فصل الربيع

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الزمن: ثلاث ساعات

المادة: نظرية الأخلاق

أجب عن الأسئلة الآتية:

س١: عرف الأخلاق لغة واصطلاحاً مع الترجيح للتعريف المختار.

س٢: تحدث عن مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ثم تحدث عن العلاقة بين العقيدة والأخلاق.

س٣: اشتمل القرآن الكريم على الجانب النظري والعملي للأخلاق.

اشرح هذه العبارة شرحاً وافياً مع التدليل على كل ما تذكر.

س٤: تحدث عن سمات القانون الأخلاقي في الإسلام .

س٥: عرف الفضيلة ثم تحدث عن شروطها وأنواعها بإيجاز.

مع دعائي لكم بالتوفيق والنجاح

كلية الدراسات الإسلامية والعربية
اختبار مرحلة البكالوريوس
فصل الخريف
١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م

الزمن: ثلاث ساعات
المادة: نظرية الأخلاق

أجب عما يأتي:

س١: عرف الأخلاق لغة اصطلاحاً، ثم اذكر السمات العامة التي تحدد مفهوم دائرة الأخلاق.

س٢: ما هو مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؟ وما هي الفائدة التي تعود على المسلم من دراسته لهذا العلم.

س٣: تحدث عن العلامة بين العقيدة والأخلاق والسلوك والأخلاق.

س٤: تحدث بإيجاز عن سمات القانون الأخلاقي في الإسلام.

مع دعائي لكم بالتوفيق والنجاح

كلية الدراسات الإسلامية والعربية
اختبار مرحلة البكالوريوس
فصل الربيع
١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م

الزمن: ثلاث ساعات
المادة: الأخلاق

أجب عن الأسئلة الآتية:

س١: في ضوء دراستك لمادة الأخلاق أجب عما يأتي:

أ- عرف الأخلاق لغة واصطلاحاً مع ترجيحك للتعريف المختار.

ب- ما هي السمات العامة التي تحدد مفهوم دائرة الأخلاق.

ج- ما هو موضوع علم الأخلاق، وما صلته بعلم النفس وعلم الاجتماع، وعلم المنطق.

د- تحدث بالتفصيل عن العلاقة بين العقيدة والأخلاق، والشريعة والأخلاق والسلوك والأخلاق.

س٢: تحدث بالتفصيل عن سمات القانون الأخلاقي في الإسلام.

س٣: ما معنى الفضيلة وما شروطها، وأنواعها.

مع دعائي لكم بالتوفيق والنجاح

كلية الدراسات الإسلامية والعربية
اختبار مرحلة البكالوريوس
فصل الصيف
١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م

الزمن: ثلاث ساعات

المادة: نظرية الأخلاق

أجب عن ثلاثة أسئلة فقط مما يأتي:

س١: تحدث عن مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً مع ترجيحك للتعريف المختار، ثم تحدث عن السمات العامة التي تحدد مفهوم الأخلاق.

س٢: تحدث بالتفصيل عن العلاقة بين العقيدة والأخلاق، والشريعة والأخلاق، والسلوك والأخلاق.

س٣: ما هو موضوع علم الأخلاق، وما الفائدة من دراسته، وما الصلة بينه وبين علم النفس وعلم المنطق، وعلم الاجتماع؟

س٤: ما هي خصائص النظرية الخلقية في الإسلام؟

مع دعائي لكم بالتوفيق والنجاح

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

اختبار مرحلة البكالوريوس

فصل الربيع

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

الزمن: ثلاث ساعات

المادة: الأخلاق — لجنة الإسكندرية

أجب عن أربعة أسئلة فقط مما يأتي:

س١: تحدث عن مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

س٢: ما هي السمات العامة التي تحدد مفهوم دائرة الأخلاق.

س٣: ما هو موضوع علم الأخلاق، وما صلته بعلم النفس وعلم الاجتماع، وعلم المنطق.

س٤: تحدث بالتفصيل عن العلاقة بين العقيدة والأخلاق، والشريعة والأخلاق والسلوك والأخلاق.

س٥: ما معنى الفضيلة وما شروطها، وأنواعها.

مع دعائي لكم بالتوفيق والنجاح

كلية الدراسات الإسلامية والعربية
اختبار مرحلة البكالوريوس
فصل الصيف
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

الزمن: ثلاث ساعات

المادة: نظرية الأخلاق — لجنة الإسكندرية

أجب عن الأسئلة الآتية:

س١: عرف الأخلاق لغة واصطلاحاً، ثم بين مفهومها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

س٢: اختلف العلماء في تحديد مفهوم الأخلاق إلا أنه توجد سمات عامة تحدد مفهوم دائرة هذا العلم فما هي هذه السمات بالتفصيل؟

س٣: تحدث بالتفصيل عن موضوع علم الأخلاق والفائدة من دراسته.

س٤: تحدث بإيجاز عن الصلة بين علم الأخلاق وبعض العلوم الإنسانية.

س٥: تحدث بإيجاز عن الجانب الأخلاقي في الديانة المصرية القديمة.

مع دعائي لكم بالتوفيق والنجاح

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
المقدمة.	٥
مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً.	٨
مفهوم الأخلاق في اللغة.	٨
خلاصة المعاني اللغوية.	١٣
مفهوم الأخلاق في الاصطلاح.	١٤
خلاصة التعريفات الاصطلاحية.	٢٢
السمات العامة التي تحدد مفهوم دائرة الأخلاق.	٢٣
مفهوم الأخلاق في القرآن الكريم .	٢٣
مفهوم الأخلاق في السنة النبوية المطهرة.	٢٥
العلاقة بين العقيدة والأخلاق.	٢٩
العلاقة بين الشريعة والأخلاق.	٣٧
العلاقة بين السلوك والأخلاق.	٤١
أقسام الأخلاق.	٤٣
اشتمال القرآن الكريم على الجانب النظري والعملي للأخلاق	٤٦
موضوع علم الأخلاق.	٤٩
فائدة علم الأخلاق.	٥٥
علم الأخلاق وصلته ببعض العلوم الإنسانية.	٦٠
أولاً: العلاقة بين علم الأخلاق وعلم النفس.	٦٠
ثانياً: العلاقة بين علم الأخلاق والفلسفة.	٦٢

ثالثاً: العلاقة بين علم الأخلاق وعلم الاجتماع.	٦٤
رابعاً: العلاقة بين علم الأخلاق وعلم المنطق.	٦٥
خامساً: العلاقة بين علم الأخلاق والدين.	٦٦
الجانب الأخلاقي في الديانات والمذاهب القديمة.	٦٨
أ- الديانة المصرية القديمة.	٦٨
ب-البرهمية.	٧٩
ج- البوذية.	٨٤
د- الزاردشتية.	٩٠
هـ- المانوية.	٩٢
و- المزدكية.	٩٤
ز- الكونفشيوسية.	٩٦
ح- اليهودية.	١٠٠
ط- النصرانية.	١٠٤
ى- الإسلام .	١٠٧
خصائص النظرية الخلقية.	١١٠
المراجع	١٢٥
الاختبارات	١٢٨
الفهرس	١٣٤